

سلسلة حرب اللاعنف - التكتيكات

حلقات العصيان المدني

وائل عادل

هشام مرسي

أحمد عادل عبد الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

حقوق هذه المادة محفوظة لأكاديمية التغيير. ولا يجوز طباعتها للنشر إلا بعد موافقة أكاديمية

التغيير، ولا مانع من نشرها على مواقع الإنترنت شريطة ذكر المصدر.

Civil Disobedience Series

All rights reserved. It may be reproduced with permission of the Academy of Change.

The authors have asserted their right under the Copyright, Design and Patents Act 1988, to be identified as the Authors of this work.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

British Library Cataloguing in Publication Data.
A Catalogue record for this title is available from the British Library.

ISBN 1-4276-1311-7

Distributed on line by
www.taghier.org

للتواصل مع أكاديمية التغيير (AOC)

بريد إلكتروني: info@taghier.org

<http://aoc.fm>

المحتويات

6	مقدمة.....
7	تمهيد: متى يصبح العصيان المدني ضرورياً؟؟.....
11	الحلقة الأولى: العصيان المدني مقاومة أم احتجاج.....
12	المقاومة والاحتجاج.....
12	جذور العصيان المدني.....
12	تعريف العصيان المدني.....
13	الجمهور هو المستهدف.....
15	وسائل العصيان لا تعرف السرية.....
18	الحلقة الثانية: الحوار لغة العصيان.....
18	الحوار لغة العصيان.....
20	العصيان المدني والعمل المباشر.....
21	أخلاقيات حركة العصيان المدني.....
24	الحلقة الثالثة: العصيان المدني ومجموعات العمل.....
24	ثقافة العمل في فريق.....
25	جذور مجموعات العمل.....
25	طبيعة مجموعات العمل.....
27	مميزات مجموعات العمل.....
30	سلبيات مجموعات العمل.....
31	الحلقة الرابعة: مجموعات العمل والتحضير للنشاط.....
31	لمن "مجموعات العمل"؟.....
33	ما التحضيرات اللازمة؟.....
38	أين يتم التحضير؟.....
38	متى يتم التحضير؟.....
39	الحلقة الخامسة: الأنشطة والحوار.....
40	المجموعات الثلاث.....
41	النشاط الموجه بين التهييب والسلبية.....
44	النظام والمجتمع.....
44	النشاط الموجه ..لمن؟.....
47	نماذج للأنشطة.....
50	الحلقة السادسة: حملات المقاومة.....
50	أولاً: تعريف الحملات.....
50	ثانياً: أنواع الحملات.....
51	ثالثاً: أهداف الحملات.....

52.....	رابعاً: عوامل نجاح الحملات
59.....	الحلقة السابعة: حملة مواجهة القمع
59.....	أولاً: الصراع السياسي وحملة مواجهة القمع
60.....	ثانياً: حقيقة القمع في الصراع السياسي الصفري.....
61.....	ثالثاً: من أهداف الحملة
61.....	رابعاً: استراتيجية جديدة
60.....	خامساً: متطلبات الاستراتيجية.....
64.....	سادساً: من وسائل تحقيق الاستراتيجية
69.....	سابعاً: القواعد الذهبية لتعزيز مساحة الحرية وإطلاق الإبداع في حركة المقاومة
69.....	الخلاصات
73.....	الخاتمة
78.....	ثبت المراجع.....

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

شهدت المجتمعات على مدار العصور - ولا زالت - حالات من الحراك على مستويات عدة، تتجلى بوضوح في الفعل السياسي والرغبة في التغيير، وتبلور في إحساسها بحقها في أن تنعم بحياة، عمادها العدل والحرية واحترام حقوقها الإنسانية وكرامتها البشرية. وتنتفض بين الحين والآخر طلائع تمثل ضمير شعوبها، باحثة عن دورها الذي وجدت من أجله. وراسمة حلمها التغييري، عازمة على أن تطيح بالديكتاتوريات التي تسببت في قعود مجتمعاتها عن مواكبة التطور الإنساني العالمي.

وتأتي إسهامات أكاديمية التغيير العلمية في إطار تقديم الخبرة الإنسانية التراكمية للشعوب، تنمية للعقل التغييري، وتعزيزاً للفكر الاستراتيجي، ونشراً لثقافة التغيير على أسس علمية، مستفيدة في ذلك من التجارب الإنسانية على مر العصور، لاستكمال وصقل وتطوير طرق الكفاح التي بدأها أحرار الإنسانية الصامدون.

كتاب حلقات العصيان المدني

ويأتي كتاب "حلقات العصيان المدني" - في سلسلة "حرب اللاعنف" - كدليل تعريفي مختصر بموضوع العصيان المدني، وهو جمع لسلسلة مقالات نشرتها أكاديمية التغيير على موقعها الإلكتروني باسم "حلقات العصيان المدني". وقد لاقى هذه المقالات قبولاً وانتشاراً واسعاً في الأوساط المهتمة بهذا الموضوع.

قسم الدراسات والأبحاث

أكاديمية التغيير

تمهيد

متى يصبح

العصيان المدني ضرورة؟؟

تمهيد: متى يصبح العصيان المدني ضرورياً؟؟

يرى البعض أن العصيان المدني يعني عصيان مؤسسات المجتمع المدني، أو عصيان المواطنين غير العسكريين، لكننا ننظر للعصيان هنا كعنصر رئيس في فلسفة وأدوات حرب اللاعنف، ويشمل العصيان السياسي والاجتماعي... الخ، ونعني هنا بكلمة "مدني" Civil، أنه متحضر، أي أنه نشاط يهدف إلى الحفاظ على القيم السامية، وترسيخ العدل والحرية، وإقامة المجتمع حامل الرسالة... ويمارس نشطاء حركات العصيان المدني أساليب حضارية، لإنتاج هذا المجتمع المتحضر. (سيتم شرح تعريف العصيان المدني لاحقاً).

وثمة سؤال يتطرق إلى الأذهان: متى يصبح العصيان المدني ضرورياً؟؟

طُرح هذا السؤال على كثير من المجتمعات، في أي مرحلة يصبح العصيان المدني ضرورياً؟ ونرى أن العصيان المدني يصبح ضرورياً حين تتعارض القوانين وممارسات الجهات التنفيذية مع القيم الأخلاقية للمجتمع، فالحفاظ على هذه القيم النابعة من ثقافة المجتمعات ومعتقداتها الدينية والدفاع عنها هو ضمان لحفظ آدمية المجتمع، وكفيل باستمرار تقدمه وتطوره، فالمجتمع هو الشريك الأكبر في تكوين الحكومات، وهو المتحكم في تصرفاتها، فهو داعم لتصرفاتها الصحيحة بإيجابيته، أو داعم لتصرفاتها الفاسدة بسلبيته.

أما القيم الأخلاقية للمجتمع فلا دعم لها إلا بالإيجابية، فإذا تعارضت ممارسات الحكومة مع هذه القيم فإن العصيان المدني يمثل أعلى درجات هذه الإيجابية تجاه قيم المجتمع وأخلاقياته، ومن هنا جاء إهداء هذا الكتاب من أكاديمية التغيير إلى المكتبة العربية وروادها للإسهام في تطوير المجتمع العربي وضمان تقدمه.

ويعتبر هنري ثوروا (1817-1862) الأب المؤسس لنظرية العصيان المدني، عبر ما دونه خلال تجواله المشهور في متنزه والدين بكونكوردي ماساشوسيتس، وتطبيقه لنظريته في العصيان المدني بامتناعه عن دفع الضرائب احتجاجاً على قانون العبودية والحرب على المكسيك عام 1846، ثم أخذت الفكرة في النضوج أثناء طيرانها حول العالم، فتلقفها غاندي في جنوب أفريقيا والهند، لتعود بعد قرن من الزمان من نشأتها إلى مارتن لوثر كينج (1929 - 1968) لتساهم في تحرير السود بأمريكا، محققة بعض الأهداف التي أسسها ثوروا من أجلها.

ويختلف ثوروا بنظريته هذه عن المدرسة الأوربية بزعامة هيجل الألماني الذي يرى قدسية الحكومة والقانون، ويختلف كذلك عن المدرسة الإنجليزية بقيادة جون لوك، وجون ستيوارت ميل، والتي تحترم حرية الفرد ولكن تحت سلطة الدولة. أما ثوروا فلا يرى للدولة الفاسدة سلطة تُحترم، وأن المجتمع لا بد أن يضغط على حكومته باستمرار كي تلتزم الصلاح وخدمة المجتمع، وقد أطلق صيحته المشهورة "إذا كانت مشيئة القانون أن تظلم الآخرين، فأنا أدعوك أن تخرق هذا القانون الفاسد، لتجعل من وجودك عقبة صعبة في طريق الدولة لمنع وإيقاف تسلط الحكومة"¹، وهذه هي الفكرة التي طورها غاندي خلال تجربته في جنوب أفريقيا على مدار 22 عاماً (1893 - 1915) قضاها هناك وأصبح زعيماً يقود نضال الهنود²، وخلال نضاله لتحرير الهند من استعمار الإمبراطورية البريطانية. وكان لهذه الفكرة أعمق الأثر في تطوير المجتمع البريطاني، حتى قال عنه المؤرخ أرنولد توينبي: "إن الأهمية التاريخية لغاندي لا تكمن فيما قدمه للهند فحسب؛ بل فيما قدمه للإمبراطورية البريطانية حيث أفتح

¹ The teaching company, Power over people by Dennis G. Dalton, lecture 12.

² عمل غاندي في "ناتال" في جنوب أفريقيا، وكانت جنوب أفريقيا مستعمرة بريطانية، وأرقه وضع الجالية الهندية، فقرر النضال من أجل الدفاع عن حقوق العمال الهنود بها، الذين كانوا يعملون في الشركات البريطانية.

المجتمع البريطاني بأن العنف تأخر وتُخلف، وأن اللاعنّف تقدّم وتُحضر¹، وقد استعملت نظرية ثوروا وتطبيقات غاندي على مدار القرن العشرين، ونجحت حوالي 82% من حركات المقاومة التي تبنت المسار اللاعنّف في تحقيق أهدافها، ما بين نجاح كلي أو جزئي. ويمكن للقارئ الرجوع إلى كتاب الأكاديمية "حرب اللاعنّف.. الخيار الثالث" للاطلاع على بعض هذه التجارب.

الحلقة الأولى

العصيان المدني

مقاومة أم احتجاج

العصيان المدني مقاومة أم احتجاج

إن المقاومة تعني العصيان أو الرفض

نتناول في هذه الحلقة:

الفرق بين المقاومة والاحتجاج.

جذور العصيان المدني

تعريف العصيان المدني

من المستهدف المواطنون أم الحكومة؟

وسائل العصيان لا تعرف السرية.

المقاومة والاحتجاج

يحكي بير هيرنجرين في كتابه "طريق المقاومة.. ممارسة العصيان المدني" حكاية له مع أخيه الصغير وهو طفل: "من الدروس الأولى التي تعلمتها في العصيان المدني كانت عند ولادة أخي الصغير ... ولقد كنت مفتوناً بإصراره البريء على تنفيذ ما يشاء وبالطريقة التي يشاء، وعندما لا يرغب في عمل شيء فإنه ببساطة يرفض ولا يساوم على هذا الرفض، وهو ما كان مغايراً تماماً لما كنت عليه حيث إنني كنت ابناً مطيعاً جداً.

ولا أقصد بهذا أنني لم أكن أحتج (Protest) فلقد كنت أصبح بشكل عنيف وأصرخ وأجامل، ولكن عندما ينتهي هذا الاحتجاج والصراخ فإنني أنصاع في نهاية الأمر. كان هذا هو التباين بيني وبين أخي، وقد ساعدني كثيراً كي أفهم بوضوح الاختلاف بين مفهوم المقاومة (Resistance) ومفهوم الاحتجاج

(Protest) .

وتتسم كلمة المقاومة اليوم بالمنمطية، وذلك لأن كل أشكال الاحتجاج - وللأسف - أصبحت فجأة تسمى مقاومة.

إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف إزاء قانون ما، أو موقف ما، ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، أو تحدي القانون. إنها ترفض الإذعان أو الطاعة. إن المقاومة في جوهرها هي العصيان. وقد يكون الاحتجاج أكثر قبولاً في بعض الحالات إلا أن تأثيره ليس كتأثير المقاومة (رغم أن الاحتجاج بالنسبة لنظام ديكتاتوري يُعد شكلاً من أشكال المقاومة، لأنه عمل غير مشروع في نظر الديكتاتورية شأنه شأن المقاومة).

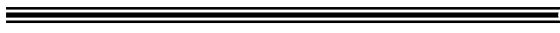
جذور العصيان المدني

كان أول من استعمل مصطلح العصيان المدني وأشار إلى فكرته هو الكاتب الأمريكي هنري دايفيد ثوراو في مقاله الشهير "العصيان المدني" المنشور في سنة 1849. وقد كتب مقاله الشهير هذا عقب امتناعه عن دفع ضرائب الحرب احتجاجاً على العبودية والقمع والاضطهاد والحرب التي كانت تخوضها الولايات المتحدة ضد المكسيك. ولم يكن الامتناع عن دفع الضرائب بالفكرة الجديدة، وإنما استعملها مناهضو الاسترقاق وآخرون غيرهم. كذلك لجأ كارل ماركس إلى هذه الفكرة حين حاول أن ينظم حملة لإقناع الأوربيين بعدم دفع الضرائب خلال الثورة التي اجتاحت أوروبا عام 1848م.

تعريف العصيان المدني

يعرف بير هيرنجرين العصيان المدني في كتابه "طريق المقاومة.. ممارسة العصيان المدني"

بأنه:



- نشاط شعبي متحضر¹.
 - يعتمد أساساً على مبدأ اللاعنف.
 - أنشطة العصيان المدني هي عبارة عن تحدٍ لأمر ما أو لقرار ما حتى ولو كانت غير مقيدة بالقانون.
 - هدف النشاط المباشر هو أن يحافظ على أو يغير ظاهرة معينة في المجتمع.
 - النتائج أو التبعات الشخصية جزء مهم من النشاط ولا ينظر إليها على أنها نتيجة سلبية.
- ويجب الانتباه إلى أن العصيان المدني تقوم أنشطته على التحدي، فلا تقيده قوانين النظام، أو قراراته، وإن كان أحياناً يتم عبر القوانين. ومن ثم لا يستطيع النظام أن يفرض على حركة العصيان نشاطاً بعينه أو يمنعها من نشاط، أو يفرض عليها ميداناً بعينه.

الجمهور هو المستهدف

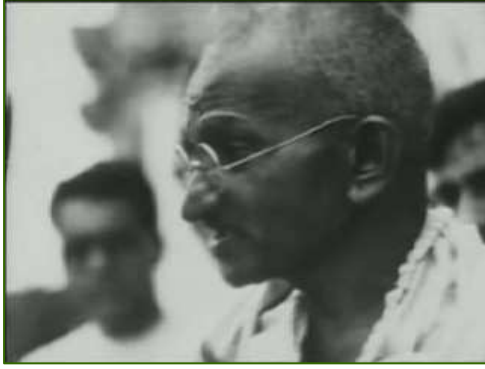
إن المقاومة يجب أن توجه خطابها إلى المواطنين المدعين. ويعتقد "ثورا" أن المواطنين هم الذين يشكلون ويصنعون الجزء الأهم في حركة العصيان المدني. كما يري أن أكبر الداعمين للأنظمة الجائرة والذين يمثلون أخطر وأكبر المعوقات أمام حركة المقاومة هم أولئك الذين يعترضون ثم يدعون ويقدمون للنظم الولاء والدعم في النهاية.

وينبغي ألا تشغل حركة العصيان المدني بتوجيه خطابها إلى الحاكم أو النظام، وتغفل عن اختيار خطاب مناسب للجماهير، يدعوهم إلى المشاركة في العصيان، ويحرضهم عليه، ويربط مستقبلهم بنجاحه. طالما أنها قررت المقاومة ... وليس الاحتجاج.

¹ كلمة "مدني" صفة تتصل بالمواطن، ولهذا فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن العصيان المدني يعني عصيان المدنيين.. أي المواطنين غير العسكريين، ولكن في حركة اللاعنف فإن كلمة "مدني" تعني عكس ما تعنيه كلمة عنف، وهذا معناه أن المشاركين في أي نشاط للعصيان المدني من كل قطاعات المجتمع - سواء كانوا عسكريين (يعضون الأوامر أو يعضون الطرف عن أنشطة المقاومين) أو غير عسكريين - يتصرفون بشكل مدني أي متحضر وبدون عنف. ولذلك يمكن أن نطلق عليه "العصيان الحضاري".



لقد أوضح المهاتما غاندي - الذي قاد النضال ضد الاستعمار البريطاني في الهند - أن



العصيان يقوض من سلطة الدولة إلى حد بعيد، إذ يقول
 "لو أن الرجل يشعر أنه ليس من الرجولة أن يطيع
 القوانين الجائرة فلن يستطيع أي طاغية أن يستعبده".
 وتكمن المشكلة الحقيقية في إذعان أكثر المواطنين

وكونهم ضمن شريحة المجتمع المطيعة، وحين يستطيع ناشطو العصيان المدني تحفيز الآخرين علي تحدي
 القوانين والتعليمات الجائرة عن طريق استثمار النتائج والعواقب المترتبة على الممارسة لأنشطة
 العصيان المدني، فإنهم ينجحون في مساعدة الجمهور كي يتغلب على حاجز الخوف من العقوبات
 الشخصية.

إن العصيان المدني ينبغي أن ينظر له كوحدة متكاملة، حيث تكون العقوبة بنفس أهمية
 الأنشطة. إن العقوبات أو بالأحرى التغلب على الخوف من العقوبة أساس في مبدأ العصيان المدني.
 والعصيان المدني لا يهدف فحسب إلى التأثير في الرأي العام؛ ولكنه يتجاوز ذلك ليصبح
 طريقة لتحفيز المواطنين على العصيان. والفعل أو النشاط وحده لا يكفي لتحقيق هذا الهدف. ولكن
 امتزاج عنصر الأنشطة بعنصر العقوبات يحدث الحافز القوي للعصيان والتغلب على الخوف من
 العقوبات.

لذلك يتم اكتساب الجماهير من خلال تقديم النموذج، الذي يرفض الانصياع للأوامر، وكلما
 صمد هذا النموذج أمام العقوبات كلما ازداد عدد المنضمين للعصيان. وعادة ما يكون دور حركات
 العصيان هو إشعال فتيل المقاومة وتقديم النموذج لاتباعها الأحرار.

ويقول جون راول في كتابه "نظرية العدالة":

"ليس من الصعب أن تبرر حالة العصيان المدني في نظام غير عادل لا يتبع رأي الأغلبية، ولكن حينما يكون النظام عادلاً إلى حد ما تبرز مشكلة، ألا وهي أن من يقوم بالعصيان المدني يصبح من الأقلية، وتغدو عملية العصيان المدني وكأنها موجهة ضد رأي الأغلبية في المجتمع".

لذلك تستفيد حركات العصيان من الظلم والتسلط، وتوظفهما في عملية التحريض، وكلما ازداد الظلم كان ذلك في صالح حركات العصيان، وكلما زادت الجرائم المعلنة للنظام كان ذلك سبيلاً إلى اجتذاب الجماهير. لذلك تستفيد حركات العصيان من أخطاء النظام، وتوظفها بشكل دقيق لجذب المزيد من الأحرار، ولتسقط شرعيته وهيبته.

وسائل العصيان لا تعرف السرية¹

تبعاً لقواعد العصيان المدني فإن المشاركين لا يعتمدون إخفاء وسائل أنشطتهم عن السلطة، وبهذا فإنهم لا يعتمدون تجنب النتائج أو التبعات السلبية لهذه الأنشطة. ولذا فإن كتابة شعار سياسي أو رسالة ما على حائط أو جدار ما تحت جناح الظلام يعتبر نوعاً من أنواع الاحتجاج، وليس المقاومة (إلا في ظروف معينة) رغم أن ذلك قد يعطي نتائج سياسية مرضية.

ولذلك ينبغي لحركات العصيان أن تعي هذه النقطة جيداً. أن المواطنين هم المستهدف الرئيس للعصيان، أن يرى الناس أفراداً من الشعب يمارسون العصيان جهاراً.. ويتحملون عواقبه .. والأعمال التي تتم في جناح الظلام لا تشجع الآخرين على أن يقوموا بنفس العمل. لذلك قد لا تعد عصياناً.. فالعصيان هو رفض للنظام، وكسر لقانون أو وضع ما جائر دون تحف.

¹ قد تلجأ حركات العصيان إلى السرية، وذلك على مستوى التكتيك لا الاستراتيجية العليا، فالاستراتيجية العليا معلنة وواضحة، أما التكتيك والاستراتيجيات التفصيلية قد تحمل بعض المفاجآت، ولا تسحب مقولة "لا تعرف السرية" بالضرورة على تفسير المسار التاريخي الكلي للحركة، فقد تبدأ حركة مقاومة كحركة معارضة لا تعتمد العصيان، ثم تتطور إلى حركة عصيان، ومن ثم فإن حديثنا عن العلانية يفهم في إطار شرح الاستراتيجية العامة للحركة المقاومة في مرحلة العصيان. كذلك قد تحتفظ الحركة **بالعصيان الأعمى** لكن هذا لا يعني أنها حركة سرية.



شباب من حركة المقاومة الصربية "أبورا" التي كان لها دور كبير في الإطاحة
بميلوسوفيتش عام 2000م.

وتكون مهارة الحركة في أن يستثمر جهازها الإعلامي هذه الأنشطة، وكلما زاد القمع وبدأ
التحرش بالمشاركين؛ كان ذلك مؤشراً على نجاح العصيان. وحينها يستفيد الجهاز الإعلامي المقاوم من
كل تحرش، أو صدام، أو كلمة نابية، أو فلتة لسان، أو عمل لا أخلاقي، أو مقتل لأحد المقاومين ليملك
ورقة رابحة ودليلاً دامغاً على أن الشعب قرر العصيان. وإذا فوت الجهاز الإعلامي هذه الأحداث يكون
قد فرط في أداة قوية من أدوات نجاح العصيان. إن قوة النشاط في فقه العصيان قد تكمن في العقوبة
التي ستوجه إلى المقاومين، والتي سيستثمرها إعلام المقاومة.

الحلقة الثانية

الحوار لغة العصيان

الحوار لغة العصيان

إن العصيان هو حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاکمات... كما أنه حوار مع المواطنين

نتناول في هذه الحلقة:

الحوار لغة العصيان

العصيان المدني والعمل المباشر

أخلاقيات حركة العصيان المدني

الحوار لغة العصيان

أحسن ما يوصف به العصيان المدني أنه عبارة عن حوار. حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاکمات، كما أنه حوار مع المواطنين من خلال تحفيزهم للمشاركة في أنشطة المقاومة. وعادة ما تبدأ المقاومة بشكل تدريجي، فتبدأ حملة المقاومة مثلاً بالمفاوضات ثم تُصعدُ تدريجياً (أو تبتكر أساليب أخرى) إذا لم تنجح المفاوضات في لفت انتباه الخصم وإقناعه بضرورة الحوار. وقد شبه غاندي هذه العملية بارتقاء درجات السلم، ففي مسيرة الملح الشهيرة عندما كسر الهنود قانون الاستعمار البريطاني وبدأوا يستخلصون الملح من البحر سأل أحد الصحفيين غاندي ماذا سيفعل لو لم تستجب السلطات.. فأجاب: "عندئذ سأصعدُ الحملة". وذلك حتى يستمر الحوار بين المقاومة والنظام.

ومن الضروري أن يستمر هذا الحوار وألا يتوقف وألا يتم تجاهله، وأن يستهدف جر المجتمع كله من مسئولين ومواطنين إلى حوار مكثف، ذلك أن استمرار الحوار يعني استمرار الحركة في تحقيق أهدافها وازدياد قوتها، وفي توقف الحوار تعزيز لموقف النظام وازدياد قوته. وعلى

الحركة ونشاطها أن يعوا أن عدم التهييب من السلطة يجب ألا يؤدي إلى قطع الحوار، نتيجة الحماس في دفع المقاومة إلى الأمام بشكل غير مدروس. أما إذا كان الخصم هو البادئ في قطع الحوار - لأسباب تكتيكية - فسيزيد ذلك من إمكانية خلق حوار مباشر بين مجموعة النشطاء من جهة وبين المواطنين من جهة أخرى. وهذا التطور هو الشائع في مثل هذه المواقف.

إن استجابة الخصم جزء ضروري في عملية المقاومة بغض النظر عما إذا كانت هذه الاستجابة سلبية أو إيجابية، جزئية أو كلية.

العصيان المدني والعمل المباشر

وبحسب استجابة الخصم تكون طبيعة النشاط. فقد يكون من الضروري أحياناً أن يأخذ العصيان المدني صورة العمل المباشر الرمزي، ومن الأمثلة على الفعل المباشر الرمزي ما قامت به حركة السلام في السويد عندما قامت بإعاقة جدية لتصدير السلاح في عام 1983، حيث تمكنت مجموعة من النشطاء - رغم ضعفها التنظيمي - من تعطيل سفينة محملة بالسلاح لمدة ساعة، مرسله برسالة رمزية بضرورة وقف تصدير السلاح كلياً، وفي نفس الوقت فقد حققت هدفها بشكل رمزي ومنعت تصدير السلاح فعلاً في هذا النشاط.

وعندما تقوم حركة ما بايواء مجموعة من المشردين ممن لا مأوى لهم فإنها بذلك تسلط الضوء على قضية المشردين، وفي نفس الوقت تحقق هدفاً من أهدافها ألا وهو إيجاد مأوى لهؤلاء المشردين. وعندما ينام عدد من النشطاء على شريط سكة حديد معترضين سير قطار محمل بأغذية فاسدة، فهم إنما يمنعون ذلك بأجسادهم، كما يعبرون عن ضرر هذه الأغذية وعن رفضهم لها.

وتجيب الإشارة هنا إلى أن العمل المباشر لا يحظر الاستعمال الرمزي للقوة. فلقد ربطت مجموعة من النشطاء المسيحيين نفسها بالسلاسل، ثم ربطت هذه السلاسل بأبواب قواعد عسكرية معروفة في بريطانيا. وهم لا يعنون بذلك أن يحققوا هدفاً باستخدام قوة السلاسل؛ وإنما يريدون أن تصل رسائلهم إلى الرأي العام البريطاني والعالمي.

وهنا يبرز سؤال هام عن أخلاقيات حركة العصيان المدني ومبرراته.

أخلاقيات حركة العصيان المدني

يجب أن يمثل العصيان المدني حافزاً أخلاقياً للمواطنين ليكون جديراً بثقتهم. وتبدو هذه الثقة مستحيلة إذا هددت حركة المقاومة باستعمال العنف، مما يخلق عند الناس حالة ذهنية من الهلع تحول بينهم وبين الاستجابة للحافز الأخلاقي، وبهذا يصبح العصيان مصدراً للخوف بدلاً من الثقة. فالعصيان إذا ما كان مصحوباً بالعنف فإنه يعزز قوة الخصم.

إن إدخال عنصر القوة الجسدية في المقاومة - خاصة في البداية مع ضعف الحركة - يؤدي إلى عزل الكثيرين من النشطاء عن المقاومة - خاصة الذين لا يتمتعون بقوة جسدية. وبذلك تصبح حركة العصيان المدني قائمة على مجموعة مختارة بمواصفات محددة، وهو ما يضعف الحركة أمام قوة الطرف الآخر. ومشاركة المجموعات النسائية في أعمال العصيان المدني خير مؤيد لوجهة النظر هذه، أن العصيان لا يجب أن يكون حكراً على ذوي القدرات البدنية الخاصة، فهو سلوك بإمكان الجميع القيام به، وثقافة تشمل كل قطاعات المجتمع.

ويجب الانتباه إلى أن العصيان المدني لا يكون مؤثراً أو فعالاً إلا بمبررات أخلاقية نابعة من عدالة القضية التي قام من أجلها. فمثلاً حين يتعارض القانون المدني مع القيم الأخلاقية والدينية

للمجتمع، أو يقوم النظام بمنع الحقوق الدستورية للمواطنين مثل حق التجمع السلمي أو حرية الاعتقاد الديني، أو فرض ضرائب على أفراد المجتمع واستخدامها في حروب ظالمة أو سرقتها لصالح أسرة النظام وحزبه؛ يجد العصيان المدني مبررات قوية لقيامه بأنشطته. فتحقيق العدل يفوق الالتزام بأي قانون جائر.

إن مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه، وإيمانه الراسخ بأنه إنسان مُكْرَمٌ حر؛ يؤكدان على وجوب مقاومة النظم الديكتاتورية وعدم السماح لها بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا أو أن تملي علينا مالذي يمكننا أو لا يمكننا عمله.

إننا عادةً ما نسمح للنظام بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا من خلال ما نتصوره ممكناً أو غير ممكن، غير أنه من خلال **أنشطتنا فقط** نتأكد لدينا إمكانية الفعل أو استحالتة. ففي مفاوضات نزع السلاح مثلاً من المنطقي والطبيعي أن تكون السلطة أو الحكومة وحدها هي القادرة على تحديد أي الأسلحة تنزع وأيها يدمر، ولكن عندما يقوم عمال مصانع الأسلحة من نشطاء العصيان المدني بإبطال فعالية هذه الأسلحة أو نزعها بأنفسهم تتغير حينها قناعاتنا حول من بإمكانه أيضاً أن يقوم بالعمل الذي ترفض الحكومة القيام به. فأشياء تبدو لأول وهلة أنها مستحيلة لكنها تحدث، وأمور تبدو في يد النظام وحده، لكن مجموعة بسيطة تستطيع أن تثبت عكس ذلك.

لذا لكي تصح تصوراتنا عن الإمكانية الحقيقية لفعل ما فلا بد من إخضاعه للتجربة، وهي وحدها الحكم الذي يقرر الإمكانية من عدمها. ولا ينبغي أن نكتفي بانهزام الإرادة والتسليم لإيهاطات الخصم بأن كل شيء في قبضته وأننا يجب ألا نتخطى الخطوط الحمراء التي وضعها.

وبالمثل فإن رؤيتنا التقليدية لما هو صحيح وما هو خطأ تتحكم في سلوكنا إلى حد كبير، فطاعة القانون مثلاً وعدم تخريب الممتلكات مبدآن أخلاقيان متجذران في ثقافة المجتمع، ولكن حين يقوم نشطاء البيئة في أوروبا بتفكيك الآلات المضرّة بالبيئة والتي يحميها القانون سيكون من المعقد جداً أن نفهم هذا التعارض بين القضيتين. ماهو الصواب وما هو الخطأ. وعندما تقوم حركة العصيان المدني بالدعوة إلى الامتناع عن دفع الضرائب، فإنها لا تدعو لعمل غير أخلاقي - رغم أن ظاهره قد يبدو كذلك، فقد يكون الهدف من وراء هذا الامتناع هو إيقاف عمليات الرشاوى والفساد التي تتم تحت مظلة "الضرائب".

قد يتحدث الكثيرون عن أخلاقيات العصيان المدني، لكن هذه الأخلاقيات تختلف بحسب النظرة إلى ما هو ممكن وغير ممكن، وما هو صواب أو خطأ، والمطلوب هو إخضاع هذه الأعراف والقناعات للتجربة بالحوار مع الخصم - ومن ثم كل المجتمع - عن طريق أنشطة واستراتيجيات العصيان المدني.

الحلقة الثالثة

العصيان المدني ومجموعات العمل

العصيان المدني ومجموعات العمل

"عندما ينتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة فإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر من أن يتولى قيادة هذا العدد الكبير مجموعة صغيرة سرعان ما تنفذ طاقتها" بير هرينجرين

نتناول في هذه الحلقة:

ثقافة "العمل في فريق"

جذور مجموعات العمل

طبيعة مجموعات العمل

مميزات مجموعات العمل

سلبيات مجموعات العمل

ثقافة العمل في فريق

إن ثقافة "العمل في فريق" قيمة عظيمة تفتقدها مجتمعاتنا بصفة عامة، فمجتمعاتنا قائمة على العمل والإنجاز الفردي. بينما قيمة أو كلمة "الفريق" تعني عدة أشياء. فهي تعني التعاون والتواصل وجودة وسرعة الإنتاج، وهي الأشياء التي يفتقدها العمل الفردي.

وقد تتواجد الجماعات والحركات، ولكنها لا تستفيد من قيمة العمل في فريق، فتغلب عليها النزعة الفردية في اتخاذ القرارات، وتدريب الأفراد على التبعية المطلقة. وهو أمر يختلف كلية عن ثقافة "العمل في فريق"، التي تجعل الفريق كله مسؤولاً عن العمل، والنجاح والفشل، وتمنح الثقة لكل أفراد المجموعة، وتعزز قدرتهم على اتخاذ القرارات.

وقد كان لهذه الثقافة دور كبير في ازدهار ونهضة المجتمعات الغربية.

جذور مجموعات العمل

أسست الحركة الفوضوية الأسبانية في الثلاثينيات الكثير من أنشطة وأعمال المقاومة القائمة على فكرة مجموعات العمل. والتي فاقت نتائج استخدامها كل التوقعات، وأدت إلى الانتشار السريع للفكرة في العالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية خلال الثمانينيات من القرن الماضي.

ولقد أحدثت مجموعات العمل ثورة في مبدأ المقاومة باللاعنف. فقبل استخدامها كان على الفرد أن يبحث عن شخصية زعامية قوية مؤثرة ويأمل بذلك أن ينجح النشاط وأن يؤدي ثماره. أما مع ظهور مجموعات العمل فقد أصبح التخطيط واتخاذ القرارات ونجاح العمل من مسؤولية الفريق بأكمله.

طبيعة مجموعات العمل

تتألف مجموعة العمل عادة من ثلاثة إلى خمسة عشر فرداً تجمعهم اهتمامات وأهداف مشتركة، وعادة ما يكون سر قوتها وتأثيرها نابع من قلة عددها، إذ يمكنها من القيام بعمل نوعي مبني على المشاركة الإيجابية لكل أفراد المجموعة، وتساعد صغر بنيتها على مرونة حركتها وتجديد استراتيجيتها تبعاً لمتطلبات العمل. ومما يزيد قوة المرونة في الزمن، فيمكن أن تقوم بمهمة محددة قصيرة، أو تشارك في مهمات طويلة الأمد، أي تقوم بالعصيان المدني بشكل منتظم ومستمر. كما أن مجموعات العمل قد تعمل منفردة أحياناً (كمجموعة)، وقد تلتقي في عمل كبير موحد مع مجموعات أخرى.

ولمعرفة مدى ملاءمة مجموعات عمل العصيان المدني للحركات التغييرية لا بد من التعرف

على مميزاتها وعيوبها.

مميزات مجموعات العمل

1- ارتفاع مستوى حرية العمل واتخاذ القرار داخل المجموعة

- إذ أنها ذاتية الحركة، فتقرر آليات اتخاذ القرارات، وهي مسئولة مسئولية تامة عن النشاط الذي تؤديه، وذلك يمكنها أيضاً من سرعة اتخاذ القرارات، إذ يمكن تجميع أعضاء المجموعة بسرعة إذا ما حدث أمر جديد أو غير متوقع.
- كما أنها تمثل الوحدات الأساسية التي تتخذ القرارات في العمل الجماهيري.

2- كفاءة عالية ونوعية للنشاط

- حيث أن المجموعة تختار النشاط الذي يتفق مع قدراتها ومواهبها وطاقتها، وتقوم بتنفيذ الأنشطة التي تؤمن بها.
- وتقوم بأعمال إبداعية تحفز الجمهور، حيث إن لكل مجموعة حرية الابتكار في الأداء دون الخروج على "مبدأ اللاعنف"، فيمتليء يوم النشاط بالكثير من الأفكار التي قد لا يتسنى للقيادة المركزية أن تقوم بها. وكثيراً ما يفاجأ النشطاء أنفسهم حيث يرون الكثير من الأفكار التي لم يكونوا يتوقعونها والتي تقوم بها مجموعات أخرى، فتكسب النشاط جواً مشحوناً بترقب الجديد، والتنافس للإبداع.
- كذلك تزول الرتابة عن الأعمال المألوفة مثل "المسيرات"، حيث تأخذ في كل مرة شكلاً مختلفاً، فمجموعة تستعد بعرض فني، وأخرى تحمل شعارات رمزية محددة، وأخرى تعد مجسمات رمزية.
- إذا ما حدث أن فقد أحد الأعضاء السيطرة على النشاط فإن أعضاء مجموعته يدعمونه لينجح نشاطهم.

3- المرونة في الحركة

- إذ تتمتع بإمكانية وسهولة التقييم والتجديد تبعاً لمتطلبات العمل.
- وسهولة فك المجموعة وإعادة تركيبها بشكل جديد.
- وسهولة تدريبها وتعليم كل فرد فيها كيفية تكوين مجموعة جديدة في حال انفصاله عنها.
- ووقاية حركة العصيان من أخطار التكسد بالكم البشري غير الفعال، من خلال تقنين آلية تفكيك وتكوين المجموعات.

4- مجموعات العمل تضمن استمرار المقاومة وتصاعد وتيرتها

- فعندما يتعرض قادة ورموز الحركة لحصار أو إعاقة كبيرة عن العمل، تختار الكثير من المجموعات الاستمرار في المقاومة.
- وعندما ينتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة؛ فإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر بكثير من أن يتولى قيادة هذا العدد الكبير مجموعة صغيرة من القادة الذين سرعان ما تنفذ طاقتهم وإمكانيتهم في الاستمرار في العمل.
- ولا يتطلب أسلوب مجموعات العمل - بالضرورة - شخصية قيادية، فالمجموعة تدير نفسها بنفسها ويمكنها تبادل إدارة العمل وقيادته.
- كما أنها تجنب الحركة العزلة عن المجتمع من خلال تنشيطه في مجموعات عمل متنوعة، تعطي الجمهور الثقة في النفس واليقين بإمكانية الفعل، دون إجباره على التوقع على تنظيم بعينه. فكثير من الناس عندهم استعداد أن يشاركوا مع أصدقائهم في عمل ما. لكنهم يرفضون أو يخافون من الانضمام إلى حركة كبيرة.

- كما يصعب على النظام إيقاف عمل بهذا الأسلوب لا يقوم على تنظيم هرمي يتوقف فيه العمل لدى ضرب قيادته. فعندما تتوقف مجموعة عن العمل ويضرب نشاطها، فإن بقية المجموعات تعمل، وتتم بقية الأنشطة.
- والعمل بهذا الأسلوب يقلل من نسبة المتسربين من المجموعة، حيث تتكون المجموعة من أفراد متجانسين ومتآلفين ومتففين على الهدف.
- غالباً ما تزول النبرة الحزبية الاستعلائية، وتقدم مصلحة المشروع التغييرى على مصلحة المجموعة. فكل مجموعة تسعد بظهور أخرى تساندها، وتؤيد أي مجموعة تتقدم بالمشروع خطوة. فمجموعة العمل تعلم أن وظيفتها إنجاز نشاط أو عدة أنشطة، وأنها في حاجة إلى مجموعات أخرى. وتتجنب صراع التجنيد والضم العشوائى للأفراد، إذ أن قوتها في قلة عددها. فتزول الأناية والشعور بالفوقية الذين يعوقان تقدم قوى التغيير.

5- تأمين العمل

إذ تقلل من إمكانية اختراق المعادين أو المتهورين أو من يسهل استفزازهم للأنشطة، حيث أن كل مشارك في نشاط ما يكون متمياً لإحدى مجموعات العمل، وهذه المجموعات يعرف أفرادها بعضهم البعض بشكل جيد، ومن الطبيعى أن يُطلب من الفرد الذى يخالف أو لا يؤمن بالخطوط العريضة أو مبادئ اللاعنف أن يغادر المجموعة.

6- ضالة التكلفة الأمنية

فاعتقال المجموعة لا يوقع أفرادها تحت ضغط نفسى كبير أثناء التحقيق خشية ذكر أسماء وأنشطة كل أعضاء الحركة. وأقسى الخسائر ستكون اعتقال كل أفراد المجموعة فقط. بينما لا تزال المجموعات الأخرى تتحرك.

سلبيات مجموعات العمل

- صعوبة الانضمام إلى العصيان المدني العرضي (المفاجئ والناجح عن حادثة معينة).
- مجموعات العمل تخلق شعوراً بالالتزام، مما يتطلب من المرء بذل الكثير من الجهد والوقت.

إن أسلوب مجموعات العمل يمنع تكديس حركات العصيان بالكم البشري غير الفعال. كما أن حركة صغيرة الحجم من حركات العصيان إذا اعتمدت فكرة مجموعات العمل فإنها تضاعف من قوتها. وهذا الأسلوب مناسب أيضاً للأفراد غير المنضمين إلى حركات كبيرة، والذين يريدون أن يشاركوا في عملية التغيير.

إننا حين ندعو للعصيان فإننا نحارب الديكتاتوريات. وعليه فإن من واجب حركات العصيان أن تطلق حرية التفكير والإبداع وتحمّل مسؤولية النشاط، طالما أن العمل لم يتجاوز استراتيجيات "اللاعنف".

الحلقة الرابعة

مجموعات العمل والتضبير للنشاط

مجموعات العمل والتحضير للنشاط

إن مجموعة العمل تدريب على:

- 1- إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حر في وحدة صغيرة.
- 2- التخطيط للنشاط.
- 3- تطوير أساليب اللاعنف بما يناسب تقاليد المجتمع.

نتناول في هذه الحلقة:

لمن مجموعات العمل؟

ما التحضيرات اللازمة لمجموعات العمل؟

أين يتم التحضير؟

متى يتم التحضير؟

لمن "مجموعات العمل"؟

يضمن نظام "مجموعات العمل" كفاءة عالية في إنجاز أعمال حركات اللاعنف والعصيان المدني. ويعتبر غاندي - فيلسوف اللاعنف - أن الإعداد الروحي والعقدي ضروري لممارسة أنشطة اللاعنف. غير أن بعض النشطاء من بعده طوروا هذا الأسلوب ورأوا أن المشارب العقديّة والفكرية المتنوعة قد تجتمع معاً، ولا يحتاج الفرد للانضمام إلى تنظيم أو حركة أيديولوجية بعينها، بل يكفي أن يكون هناك هدفاً مشتركاً بين النشطاء.

إن لدى التنظيمات الموجودة على ساحات التغيير ميزة وفرصة ذهبية لتبني أسلوب "مجموعات العمل". فليها الأفراد الذين يجمعهم هدف واحد، وليس لديها مشكلة في تكوين المجموعات

المتجانسة، وتلتقي المجموعات بشكل دوري عبر اجتماعاتها الرسمية. لكنها تتطلب

فقط التدريب على اتخاذ القرارات، والثقة في النفس، وثقافة وأساليب العصيان المدني، بالإضافة إلى تشجيع المبادرات التي لا تخرج عن مبدأ "اللاعنف".

وبالنسبة للأفراد الذين لا يرغبون في الانضمام إلى حركات كبيرة، وتحركهم دوافع مشتركة للمساهمة في الحركة التغييرية؛ فإن تكوين مجموعات عمل عادة ما يتم بشكل طبيعي عبر العلاقات الاجتماعية (الأصدقاء - الجيران - زملاء العمل - الأقارب) لذلك يكون التقاؤهم طبيعياً وغير مفتعل.

وسواءً كانت مجموعات العمل ضمن حركات كبيرة، أو كانت مجموعات صغيرة منفردة؛ فإنها تحتاج إلى إعدادات وتحضيرات قبل العمل، وأثناءه، وبعده.

ما التحضيرات اللازمة؟

1- تحضيرات إدارية:

- الاتفاق على اسم المجموعة وشعارها – إن كانت بحاجة لذلك.
- تحديد أسلوب إدارة المجموعة وكيفية تداول القيادة فيها، وتقنين آليات الاتصال بالقيادة العليا (في حالة أن المجموعة جزء من تنظيم). وتقنين آليات الاتصال بالمجموعات الأخرى – إن استدعى الأمر – في حالة المجموعات المنفردة.
- وضع القواعد العامة والسياسات التي يجب أن تلتزم بها المجموعة، وتحديد آليات الانفصال وتكوين مجموعات أخرى.
- تقنين آليات فض النزاعات داخل المجموعة، باستخدام الطرق والوسائل المختلفة التي تساعد على تعريف وتوصيف النزاعات وكيفية التوصل إلى حلول لها، مما يوفر الإحساس بالأمن لدى المجموعة، ودعم الشعور بالثقة المتبادلة وتقبل النقد وإسداؤه بطريقة بناءة.
- تقنين آليات النقد بحيث تكون ثقافة النقد الداخلي جزءاً من بنية المجموعة لا عملاً طارئاً عليها. إيماناً بأن النقد هو سبيل التطوير.
- تحديد الآلية التي سيتم تدريب أعضاء المجموعة من خلالها على أعمال وثقافة العصيان المدني وأنشطة اللاعنف.
- تقوية تجانس المجموعة، فخلق تجمع مقاوم يتطلب تعارف الأفراد، وتطوير التعاون فيما بينهم عبر التقييم المتواصل لتجانس المجموعة وتعاونها.

إن مجموعة العمل تدريب على إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حر في وحدة صغيرة تقوم بالتخطيط للنشاط وتطوير أساليب اللاعنف بما يناسب تقاليد وثقافة المجتمع.

2- تحضيرات فكرية

• **فلسفة وثقافة اللاعنف:** ونشرها عبر المراجع المتخصصة مثل مراجع "جين شارب"، والسلسلة التي تصدرها أكاديمية التغيير وغيرها، ويتضمن ذلك الروايات والأدب والشعر والتجارب التاريخية والمعاصرة المقروءة والمسموعة والمرئية.¹ التعرف على الحقوق الدستورية، وواجبات وحقوق الأفراد في الدولة.

• **تحليل الأوضاع:** قد تتطرق المناقشات والتحليلات إلى موضوعات كثيرة، فيمكن أن تكون حول الوضع السياسي الحالي، الحالة العسكرية، أجهزة الإعلام، حركة المقاومة، الحركة البديلة بصفة عامة، الأحزاب السياسية، اللاعنف، العصيان المدني، الظلم، الهيمنة، الظلم في المجموعة، القانون المراد تعديله أو تغييره، كما تدرس نقاط القوة والضعف لدى النظام، واستراتيجيته في البقاء، ونقاط ضعف وقوة قوى التغيير، وما الذي ستضيفه المجموعة من قوة إلى باقى مجموعات وحركات التغيير، واحتياجات الشعب والقضايا المحركة له، والتي يمكن أن تحشده لمنصرة الحركة التغييرية، والعوامل والظروف المساعدة التي يمكن أن تؤثر على مسار الصراع. والمزيد من الموضوعات الأخرى.

• **قضايا فلسفية:** مثل: أخلاقيات العصيان المدني² وحركة اللاعنف، وما هو الحق الذي يملكه النشطاء لخرق وكسر القانون؟ وكيف يمكن تفعيل الرمزية³ في العمل؟

¹ الأفلام الخاصة بتجارب حركات اللاعنف متوفرة في أكاديمية التغيير.

² للاطلاع على المقصود بأخلاقيات العصيان المدني ينصح الرجوع إلى الحلقة الثانية "الحوار لغة العصيان".

³ الرمز الذي يشير إلى الرسالة المقصودة من النشاط مثل الشعار والزي... الخ.

- **احتياجات المجموعة:** بالحديث حول الخوف والمخاطرة، والأمن، والدعم والعزلة، والاعتقال والاحتجاز، والمحاکمات والعقوبات، وأمن المجموعة وأمن الآخرين، والعائلة والأصدقاء، وغيرها من المواضيع ذات الصلة بالعمل التغييری.

3- تحضیرات للنشاط نفسه

- **تحديد أهداف النشاط بدقة:** (احتياجات الأفراد - احتياجات المجموعة - احتياجات المجتمع)، ومناقشة رسالة النشاط، والدافع، والرمزية، والأولويات.
- **تحديد بؤرة النشاط:** والتركيز على الأشياء الأكثر أهمية، وتحديد أقوى الوسائل لتحقيقها بدلاً من استخدام الموارد المحدودة في كل أنواع الأنشطة والقضايا. وهذا التركيز يساعد على الوضوح: هل رسالة النشاط مفهومة؟ وهل تمثل حافزاً للجماهير؟ وهل تصل إلى المستهدفين منها؟ وما أفضل الوسائل لإيصالها؟.
- **تحديد وسائل الاتصال:** لخلق حوار مع الخصم ومع بقية المجتمع؟ والتي تتضمن الإعلام والمحاکمات والاتصال الشخصي مع العمال وصناع القرار، والخطابات والرسائل، والحلقات الدراسية والدورات التدريبية... الخ.
- **بناء القدرة وتوزيع الأدوار:** فقبل البدء في أي نشاط لا بد من تقدير وتقييم قدرة كل فرد على تنفيذه، وإعطائه الفرصة للتفكير ومراجعة تردده وتردد الآخرين في المشاركة، والتريث إذا كان من الأفضل أن ينتظروا فترة قبل المشاركة في الأنشطة. وعلى كل فإن المجموعة تقيس قدرتها على الفعل، فإن وجدت أتمت نشاطها، وإن لم توجد سعت لبناء قدرتها وتطوير أفرادها وتدريبهم. ولا يجب قسر الأفراد على أدوار بعينها. بل يجب أن تختار كل مجموعة الدور الذي يتفق مع مواهبها ومهاراتها.

- **عمل الأبحاث:** للحصول على المعلومات اللازمة، وقد يتم ذلك عبر المؤسسات الحكومية أو الإنترنت أو دليل الهاتف، أو الزيارات الميدانية ومراقبة الأماكن المستهدفة ورسم خارطة للموقع ومدى بعد وقرب المكان من مقار الشرطة ومن الجماهير وذلك بحسب طبيعة النشاط.
- **تبادل المعلومات:** ويتم بين أفراد المجموعة عبر مختلف الوسائل، كالإنترنت والقوائم البريدية. كما يمكن الحصول على معلومات عن أي مؤسسة بإرسال السؤال لها عبر الإنترنت وانتظار الرد بعد أيام، ويمكن كذلك الاحتفاظ ببعض المعلومات المهمة والمتعلقة بالمجموعة على شبكة الإنترنت بسبل متعددة. كما يعد الإنترنت وسيلة فعالة للاتصال بحركات العصيان والخبراء في كل أنحاء العالم لتبادل الخبرات. كذلك يستخدم الهاتف (المحمول) في الاتصالات السريعة.

4- تحضيرات نفسية

- وتتركز عادة في كسر حاجز الخوف من عواقب العمل. وتأكيد عدالة القضية، وتعزيز الشعور بإمكانية الفعل. ويقول بير هيرنجرين عن إحدى الحركات المهمة بنزع الأسلحة التدميرية:
- "نحن نحاول نزع سلاح مخاوفنا الخاصة.
- "كما أننا نحاول أيضاً نزع سلاح جدران الحماية الأخرى التي بنيناها لتتجنب المخاطر الشخصية.
- "كما أننا نحاول نزع سلاح العنف والقمع والاضطهاد الذي قد يوجد داخل المجموعة نفسها.
- "وفي النهاية فنحن نحاول - من خلال أنشطتنا - نزع سلاح العنف والخوف والشك من المجتمع.
- "نحن نحاول التغلب على مخاوفنا لاكتساب الشجاعة لممارسة العصيان المدني، وحتى حينها يظل الخوف

موجوداً. ونحن لا نقاوم الظلم والقمع والاضطهاد لكي نختفي النزاعات ولكن حتى يمكن التعامل مع النزاعات من خلال العمل الحر.

أين يتم التحضير؟

وعادة ما يتم هذا الإعداد من خلال:

- الاجتماعات الرسمية للمجموعة والتي يكون لها جدول أعمال محدد في كل مرة.
- اللقاءات الاعتيادية (العمل - الجامعة - النادي - المطاعم - المكتبات العامة)، حيث تستفيد المجموعة من أماكن الاجتماع الطبيعية في الحديث وعرض الأفكار المتعلقة بالعصيان. دون أن تشعر بغربة عن مجتمعتها، أو تحوط نفسها بسياج من السرية.

متى يتم التحضير؟

- **تحضيرات قبلية:** وتكون قبل العمل لمناقشة الأفكار وتحديد الأنشطة وأفضل الأساليب وتوزيع الأدوار. فتجتمع المجموعة مثلاً لمدة ثلاثة أيام معاً لمدارسة المواضيع المطروحة. ولإنضاج الفكرة فإنه ينصح أن تمر بخمسة إلى عشرة لقاءات اعتيادية حتى يمكن النظر إليها من زوايا مختلفة. ويجب عدم الوقوع في أسر الشلل التحليلي الذي يسرف في الدراسة النظرية بشكل يحول دون القيام بالعمل، حيث أن اكتساب الخبرة عن طريق الممارسة العملية مهم لنجاح العمل وتطوير التصور النظري.
- **تحضيرات أثناء العمل:** للمراجعة وتحديد ما إذا كانت هناك حاجة لأي نوع من أنواع التعديلات أو الدعم.

- **تحضيرات بعدية:** عادة ما تقوم المجموعة بعد انتهاء العمل بأخذ فترة راحة من الأنشطة المتتابة لتقييم العمل وتحديد الإيجابيات والسلبيات والتفكير فيما ينبغي عمله، ومراجعة الحاجات الشخصية وحاجات المجموعة وحاجات المجتمع.

الحلقة الخامسة

الأنشطة والحوار

الأنشطة والحوار

إن هدف النشاط هو خلق الحوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته.

نتناول في هذه الحلقة:

- المجموعات الثلاث.
- النشاط الموجه بين التهيب والسلبية.
- النظام والمجتمع.
- النشاط الموجه لمن؟.
- نماذج للأنشطة.

لقد ذكر منظر حركة اللاعنف "جين شارب" في السبعينيات 198 وسيلة من وسائل الكفاح اللاعنفي، والتي صنفتها في ثلاث مجموعات رئيسية.

المجموعات الثلاث

- 1- أساليب الاحتجاج والإقناع باستخدام اللاعنف (مثل التظاهرات والمسيرات السلمية وتوزيع النشرات ووضع ألوان معينة ...)
- 2- أساليب اللاتعاون (وتعني رفض التعاون مثل الإضرابات والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمؤسسات الدولة....)
- 3- أساليب التدخل اللاعنفي (تعطيل الأعمال الاعتيادية واحتلال المكاتب وإنشاء مؤسسات وحكومة موازية)

وحيث أن موضوعنا هو العصيان المدني وهو جزء من منظومة حرب اللاعنف، ويتبلور في أدوات المجموعة الثانية "اللاتعاون" من أسلحة حرب اللاعنف، ويعمل عادة بموازاة الأنشطة الأخرى، فإننا سنتخذ من الحديث عنه ودراسته نافذة للإطال على أنشطة حرب اللاعنف، وذلك لشحذ الأذهان بالعلم الذي يدفع إلى الابتكار والإبداع في مواجهة النظام الديكتاتوري.

النشاط الموجه بين التهيب والسلبية

إن التهيب من ممارسة العمل السياسي وانتظار الآخرين أن يقوموا به نيابة عنا نابع من عدم إدراكنا أننا نمارسه من خلال أعمالنا اليومية، كالذهاب إلى العمل والتعاون مع الزملاء وطاعة الرؤساء والذهاب إلى السوق ... الخ.

ولهذه الأنشطة اليومية تبعات سياسية وإن لم ندرك نحن ذلك، وتقوم هذه الأنشطة السياسية بمد المجتمع بحركته الديناميكية والتي إن توقفنا عنها أصيب المجتمع بالشلل. ويفترض أن تصب هذه الأعمال في اتجاه تطور ونماء المجتمع، وللأسف فإن عدم إدراكنا للطبيعة السياسية لأعمالنا اليومية، وعدم وضعها في إطار يهدف إلى تنمية وتقدم المجتمع، قد يأتي بنتيجة عكسية سلبية الأثر على المجتمع من حيث لانشعر.

وتساعد ثقافة العصيان المدني في توعية المجتمع وأفراده بهذه الحقيقة، والمطلوب أن يضع الفرد نصب عينيه الهدف التطويري والتنموي من عمله اليومي، فإذا كانت نتيجة العمل سلبية أو هدامة وجب التوقف عنه، وبهذا يقوم الفرد بممارسة العصيان المدني بوعي وعلى بصيرة، ويستطيع أن يشرح ذلك للآخرين ويشجعهم عليه. ومثل ذلك ما لمستة حركة الشارع العربي في السنوات الأخيرة من

مقاطعة البضائع والمنتجات الأمريكية حين رأى الناس أن في دعم تلك المنتجات إضراراً بمصالح المجتمع والمنطقة ككل.

النظام والمجتمع

ولأن للمجتمع نظام يحكمه نابع من تفويضه لأفراد يقومون على خدمته وتنظيمه فإن المراقبة الدائمة لأداء هذا النظام من أهم وظائف المجتمع، وحين تكون إدارة النظام الحاكم للمجتمع سلبية ومدمرة؛ فإن استمرار الأفراد على نفس وتيرة أعمالهم اليومية يعني الاستسلام والمشاركة الفاعلة في بقاء النظام الفاسد.

فجميعنا إذاً مسئولون عن استمرار الظلم وتحلف المجتمع بتفاوت حجم المسؤولية من شخص لآخر، غير أن كل شخص مسئول عن مدى استهانته بأهمية نشاطه اليومي في المجتمع، وما يمكن أن ينتج عن ذلك من إذعان وطاعة للحكام، فمن خلال صمتنا وخدمتنا للنظام - فاسداً كان أم صالحاً - عبر أعمالنا اليومية فإننا نشارك في دعمه وتثبيت أركانه. وبإدراك هذه الحقيقة يمكن للفرد أن يستخدم نشاطه اليومي ويوجهه وجهة إيجابية للتخلص من الفقر والتخلف والذين هما وجه العملة الآخر للظلم والاستبداد.

النشاط الموجه .. لمن؟

بإدراك المعنى السابق يمكن أن نحدد الأطراف المستهدفة بأنشطتنا، وسيجد الدارس أن هذه

الأطراف هي:

1- النفس.

2- المجتمع.

3- النظام.

1- النشاط الموجه للنفس

- هزيمة اليأس الذي يؤدي إلى العنف أو الاستسلام، وكلاهما قد يؤدي إلى المشاركة الفاعلة في إبقاء الظلم. فالنظام الديكتاتوري يعمل على دفع الناس إلى اليأس فإن أدى ذلك بالناس إلى السلبية - وهو ما يريده النظام ويسعى إليه - ازداد النظام في جبروته، وإن أدى اليأس إلى العنف ازداد الظالم في قمعه واتخذ من العنف ذريعة للقمع والبطش.
- تجنب الانفصام الشخصي بين الفرد ككائن منفرد وبين المجتمع ككائن آخر، فمصلحة الفرد من مصلحة المجتمع والعكس صحيح، وإن كل حركة يقوم بها الفرد تأتي بنتيجة سلبية أو إيجابية على المجتمع.
- كسر حاجز الخوف من عواقب النشاط، والتي تتمثل في العقوبات التي تنال الفرد. ويلاحظ أن الناشط عادة ما يكون متهيئاً من أي نشاط جديد في البداية، لكنه لا يلبث أن يعتاده ويراه عملاً طبيعياً. لذلك فاندماجنا في أنشطة العصيان كفيل بكسر حاجز الخوف والأوهام التي بداخلنا.
- إن المفتاح هو الفرد وإدراكه لقيمة العمل الذي يؤديه بشكل اعتيادي يومي في المجتمع، وأن هذا العمل إما أن يكون مقوضاً أو داعماً لشرعية النظام وبقائه.

2- النشاط الموجه للمجتمع وشرائحه

- ويوجه الحوار (النشاط) إلى أربعة أصناف رئيسة:
- الذين يطيعون الحكام (مثل الذين يدفعون الضرائب) وقد نكون من هؤلاء ونحن لا ندري.. فنندعو للعصيان المدني ونحن أحد عقبات نجاحه.

• العمال والموظفون المشاركون في النشاط الذي نعارضه (مثل القائمين على جمع الضرائب).

• رؤساء الأعمال في المواقع المستهدفة وصناع القرار.

• كل من له سيطرة في عمله وهؤلاء قد يكونون (الأقرباء - الزملاء - الشرطة - القضاة) بالإضافة إلى أنفسنا عندما نكره أن نسب مشاكل في أعمالنا جراء العصيان.

والأنشطة لا تستهدف هؤلاء الأربعة في نفس الوقت، فقد يستهدف النشاط مرة خلق حوار مع دافع الضرائب، ومرة أخرى مع القانونيين، ومرة يستهدف خلق حوار مع الشرطة لتحبيدها وهكذا.. وخلاصة القول أننا في كل نشاط نسعى إلى خلق حوار، لتزداد قوافل المقاومين، ولتقويض قوة النظام في نفس الوقت.

3- النشاط الموجه للنظام وأدواته

وهنا لا بد من التركيز على أن النشاط يهدف إلى فتح حوار مع الخصم وإقناعه بضرورة الاستجابة لمطالب المجتمع لا السيطرة عليه وقمعه، وأن الحاكم خادماً للمجتمع يقوم بتنفيذ إرادته لا العمل على استعباده، فإذا اقتنع النظام بذلك تحاور معه ممثلو المجتمع من أحزاب وجماعات ضغط للحصول على مكاسب حقيقية للمجتمع وليس للحركة أو الحزب، وإن امتنع عن الحوار أو رفض المطالب الشعبية استعرض المجتمع قوته الحقيقية ونشاطه الذي لا يوقفه فرد أو مجموعة أفراد في سدة الحكم.

لقد بينا في أكثر من موضع في سلسلة الحلقات أن العصيان المدني بالأساس يهدف إلى خلق حوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته. لذلك يجب

أولاً أن نحدد مع من سنتحاور، وعندئذ نستطيع أن نحدد لمن يوجه الفعل؟ وماهو الفعل؟

نماذج للأنشطة

هذه نماذج نذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- دعم وإيواء النشطاء المطلوبين للنظام.
- 2- نزع هيبة وشرعية النظام.
- 3- الأعمال الاستباقية.
- 4- الاعتراض الضميري ولبس الأحذية الخشبية.
- 5- الاعتراض الضميري على الخدمة العسكرية الإجبارية.
- 6- احتلال المكاتب.
- 7- التخميم بجوار مكان مستهدف.
- 8- إقامة العوائق واعتراض الحافلات.
- 9- إيقاف فاعلية الأسلحة المستخدمة ضد أنشطة الحركة.
- 10- حملات المقاومة المتلاحقة.
- 11- الاعتقال.
- 12- التحقيق.
- 13- المحاكمة.
- 14- السجن.
- 15- الاتصال.

الحلقة السادسة

حملات المقاومة

حملات المقاومة

"إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن ينتج عن رؤية كلية لخارطة الصراع." أكاديمية التغيير

نتناول في هذه الحلقة:

أولاً: تعريف الحملات.

ثانياً: أنواع الحملات.

ثالثاً: أهداف الحملات.

رابعاً: عوامل نجاح الحملات.

أولاً: تعريف الحملات

تتكون حملات المقاومة من سلسلة من الأنشطة الهادفة إلى تحريك المجتمع نحو الإيجابية ونبذ السلبية وتوجيه الرأي العام لاتخاذ موقف بناء إزاء قضية ما، والضغط على النظام ليتخذ موقفاً استجابة للإرادة الشعبية.

ثانياً: أنواع الحملات

- **الحملة الجزئية:** وتكون غالباً في المراحل الأولية في حياة المقاومة، وتستهدف قضية من القضايا التي تهم المجتمع، مثل قضية البطالة، أو الاعتراض على قانون جائر، وتندرب المقاومة خلال هذه المرحلة على ممارسة العمل، وإحسان الفعل، وإتقان التخطيط والتحليل، وبناء التضامن المطلوب بين فصائل المقاومة وشرائح المجتمع، حتى تحين ساعة التغيير الشامل المنشود.

- **الحملة الشاملة:** وحين تنجح المقاومة في حشد وتفعيل طاقات المجتمع بكامله، ليصبح مستعداً لحمل رسالته، والدفاع عن إرادته، تأتي مرحلة التخلص من الديكتاتورية وبناء المجتمع السياسي المدني كحلقة طبيعية في سلسلة البناء.

ثالثاً: أهداف الحملات

إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن تتبع من رؤية كلية لخارطة الصراع... وبذلك يمكن النظر إلى أهداف الحملة كالتالي:

- **الهدف الأساسي:** إن هدف الحملة الأساسي والنهائي هو تحويل ميزان القوة وتحريرها من يد الأقلية الديكتاتورية الحاكمة إلى يد الأغلبية المحكومة.
- **الأهداف المرحلية:** أما الأهداف المرحلية أو الفرعية فيمكن تحقيقها عبر نشاط أو عدة أنشطة فرعية. حيث تتمكن من إنجاز هدف واحد أو عدد من الأهداف بحسب نوع النشاط ومناسبته للمرحلة التي تمر بها حركة المقاومة.

ونذكر من هذه الأهداف على سبيل المثال لا الحصر:

1- بناء قدرة المجتمع على الفعل عبر استخدام النشاط كوسيلة للاحتكاك بالجمهور وإدارة حوار معه لإقناعه بضرورة مشاركته في الصراع لبناء المجتمع المدني.

2- البحث عن الشرائح المختلفة في المجتمع، والمفاتيح أو القضايا التي تهمها وتُقوي لديها الاستعداد لخوض الصراع من أجلها. وهنا قد تتناول الحملة قضية اجتماعية لتصل بها إلى الأحياء الشعبية مثلاً، ويكون شعار الحملة ملامساً لآلام وآمال الجماهير، بهدف تحريك فئات وشرائح المجتمع نحو المشاركة الفعالة في الصراع المدني.

3- تقويض قوة النظام باستهداف مفصل من مفاصل قوته، مثل نزع الشرعية عنه، أو إقناع أدوات القمع التي يستخدمها مثل الشرطة والجيش بأنها تحمي نظاماً لن يكتب له البقاء. وأن حركة المقاومة تتزايد، والمشاركين فيها هم أبناؤهم، وإن مكانهم الطبيعي مع آبائهم والجماهير وليس ضدهم. هذا إقناع لا يتم عبر الكلام فحسب، بل يتم عبر الأنشطة التي تلامس همومهم وتلبي احتياجاتهم، ويزداد المشاركون فيها يوماً بعد يوم.

رابعاً: عوامل نجاح الحملات

هناك عدة عوامل تؤدي إلى نجاح الحملات نذكر منها:

التخطيط والتقييم

يجب أن توضع الحملات ضمن خطة كلية ولا تصبح عملاً ارتجالياً يتساءل بعده المشاركون.. إلى أين؟؟!!.. وبعد انتهاء الحملة يجب تقييمها ومعرفة مدى نجاحها في تحقيق أهداف المرحلة والاستفادة من التجربة وعدم تكرار الأخطاء.

التدريب

يجب أن تُستخدم الحملات كوسيلة لتدريب الجمهور على أعمال اللاعنّف، وعلى تأكيد رفض العنف كأسلوب للتغيير، ورفض إرهاب النظام وسرقة لإرادة الشعب، بأسلوب متحضر معتمد على سياسة حرب اللاعنّف. حيث (تصمم الأعمال الأولى في حملة تقويض النظام الديكتاتوري لمحاورة الرأي العام واختباره، ومحاولة التأثير عليه، ولتحضير المواطنين لنضال مستمر من خلال اللاتعاون والتحدي السياسي).¹

¹ Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework for Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org.

الاستعجال وعدم التدرج

ينبغي بدايةً القيام بجملات جزئية تهدف إلى خلق حوار مع الجمهور لنقله من مقعد المتفرج إلى الفاعل، وتدريبه بحيث يكون مستعداً لحملة شاملة حاسمة، إذ أنه (من الصعب تفكيك مصادر قوة نظام الحكم الديكتاتوري بشكل كامل وسريع في المراحل الأولى من النضال، لأن هذا يتطلب أن يقوم المجتمع ومؤسساته - والتي كانت تعاني في الماضي من السلبية - برفض تام وتحد مفاجئ للنظام عن طريق استخدام اللاتعاون الجماهيري الواسع. لذلك فإن محاولة القيام بحملة سريعة من اللاتعاون الكامل أو التحدي الشامل تعد نوعاً من الإستراتيجية غير الواقعية لحملة مقاومة في مراحلها الأولى).¹

الرمزية

وللرمزية ثلاثة معانٍ يجدر بنا أن نشير إليها:

الأول: الرمزية في شكل العمل: مثل عمل عزاء أو لبس السواد اعتراضاً على قرار ما.

الثاني: الرمزية في مدة العمل: أن يكون العمل رمزياً أي لفترة محددة ومؤقتة. مثل الاعتصام أو الصيام عن الطعام لفترة محددة بدلاً من الإضراب عن الطعام

وعن المعنيين السابقين يقول جين شارب: (تأخذ الأعمال الأولى من اللاتعاون والتحدي لسياسي

شكل أعمال أو احتجاجات رمزية من اللاتعاون المحدود أو المؤقت).²

¹ Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework for Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org.

² Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework for Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org.

الثالث: الرمزية في أسلوب العمل: إيصال رسالة ضمنية لتحريك الجماهير، على سبيل المثال: إن انتزاع الحرية لن يتم بتفويض قلة من أبناء المجتمع تقوم بالنضال نيابة عنه، وإن العمل الذي يحتاج جهود معظم فئات المجتمع لا يمكن أن يتم بإلقاء مسؤوليته على عاتق القلة. وهنا يكون هدف النشاط إعلام الأغلبية السلبية من الجمهور بأن اللاتعاون ممكن إذ قمنا به نحن الأقلية الإيجابية، وإن مشاركة الأغلبية ضروري لكي يؤدي العمل ثماره المطلوبة، فإذا استهدفت المقاومة إطلاق سراح المعتقلين السياسيين مثلاً وكان عددهم ستة أفراد، فإن الاكتفاء بتحرير نصفهم يعطي هذه الرسالة: أن الاستجابة لمطلب إطلاق سراح المظلومين ممكن، وأنه لو تضافرت جهود أكبر فستتمكن من منع النظام من استخدام أداة الاعتقال للضغط على حركة المقاومة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأعمال الرمزية لا تهدف إلى القضاء على الأنظمة الديكتاتورية، حيث إنها غير موجهة في هذه المرحلة إلى النظام، ولكنها موجهة إلى الجمهور لبناء قدرته على الفعل.

الفاعلية وتتابع الأنشطة

تعتمد فاعلية الحملة على تواصل أنشطتها وتتابعها، وليس عدد الأنشطة أو الأعمال في الحملة هو الذي يحدد مدى قوتها، بل إن إدراك طبيعة المرحلة التي تمر بها الحركة التغييرية هو الذي يملئ نوعية النشاط المطلوب، فالأنشطة التي تتم في مرحلة بناء القدرة تختلف في فاعليتها وما هو مستهدف منها عن الأنشطة التي تتم في المراحل النهائية.

ويعد تفعيل شرائح الأطفال والنساء من الوسائل الناجحة لتبليغ رسالة النشاط المتحضر واللاعنيف ووضع النظام الديكتاتوري في مأزق. هل يبطش بالأطفال والنساء أم يترك النشاط ينمو؟! كذلك يؤدي تفعيل شرائح الأطفال والنساء إلى الضغط على المجتمع كي يتحرك،

فهاهم الأطفال يتحركون فما بال الكبار مستسلمون؟! وقد يتحرك أبناء المسؤولين والموظفين في أجهزة القمع مما يقنع أفراد هذه الأجهزة بأن مكانهم مع ذويهم في الشعب وليس ضدهم.

التصعيد

إن الحملات يجب أن تبدأ تدريجياً في اتجاه التصعيد كما يرى غاندي، حتى لا تفقد فاعليتها. أما إذا بدأت بشكل قوي ثم ضعفت فهذا أمر خطير ينذر بفشل الحملة، وهو ما يحدث عندما تلجأ المعارضة لحملات قوية ثم تضعف ويبدو للناظر من بعيد أنها تلاشت. ورغم أن التأثير السياسي للحملة قد يكون هو الأسرع، إلا أن تغيير سلوك الناس من الطاعة والإذعان إلى مقاومة الظلم والقمع هو الأهم.

الاستمرار والانقطاع

(تقع وطأة النضال على قطاع أو أكثر من المواطنين خلال تنفيذ حملات المقاومة، ثم يتحول عبء النضال إلى مجموعات أخرى في مراحل لاحقة، بحيث تحصل فئات من المواطنين على فرصة للاستراحة والتقاط الأنفاس بينما تستمر المقاومة بجهد قطاعات أخرى، فمثلاً يقوم الطلاب بتنفيذ إضرابات احتجاجاً على قضايا تعليمية، ثم يقوم القادة الدينيون والتيار الديني بالتركيز على قضايا الحريات الدينية، ثم يقوم عمال سكك الحديد بإبطاء حركة القطارات، ويقوم سائقو التاكسي والحافلات بإبطاء حركة المواصلات وسيارات الشرطة، ثم يقوم الصحفيون بتحلي الرقابة من خلال نشر المقالات المنوعة، وتقوم قطاعات الشرطة المتعاونة مع المقاومة بتقديم تقارير حول فشلها في إيجاد واعتقال أشخاص مطلوبين من أعضاء المعارضة. إنه تقسيم مدروس لحملات المقاومة حسب نوع القضية

المطروحة وحسب مجموعات السكان.¹ إن ذلك يتيح استمرار الحملة دون أن يرهق كل فئات وشرائح المجتمع في نفس الوقت.

التركيز على فاعلية الحملة

تعتمد فاعلية النشاط على قدرته على خلق حوار مع الجمهور ومع النظام، وإلا فلن تعدو الحملة أن تكون دعاية وضجة إعلامية، لا يلبث الناس أن يعودوا بعدها إلى منازلهم، ولما يتغلبوا على عقد الخوف والإذعان والسلبية بعد، لذلك فإن إبقاء الحوار مستمراً والاتصال بالجمهور شرط أساسي لنجاح الحملة.

ويتم الحوار قبل وأثناء وبعد الحملة، فقبل الحملة يتم الدعوة إليها وإقناع الجمهور بالمشاركة، وبعد الحملة يتم الحديث عنها وشرح الفائدة منها عبر كل الوسائل الممكنة، أما أثناء الحملة فيجب أن تنمى الاتصالات الشخصية، وتبنى العلاقات الاجتماعية، ويهتم بالصدقات.

التعاون وتقدير الجهود المختلفة

إن نجاح الحملات في تحقيق الأهداف المرجوة يستدعي عدم تحقير أي دور لأي مجموعة، أو أن تتصور إحدى جماعات المقاومة أنها قادرة على التغيير بدون التعاون مع الحركات الأخرى، أو بدون تفعيل المجتمع ككل، أو أن المكاسب التي حققتها أعظم من أن يتم التفريط فيها فتتخلى عن الرؤية النهائية أو عن شركائها في حركة المقاومة، وكلها نقاط سيحاول النظام في إحدى جولات الصراع استخدامها والتلاعب بها.

¹ Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework for Liberation. The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org.

وفي النهاية - إن أحسنت المقاومة التخطيط والتنفيذ والتعاون - ستتفاعل الحركات ومجموعات العمل المختلفة تفاعلاً حيويًا وفعالاً حتى يكاد أصحاب المقاومة لا يصدقون أنهم تمكنوا من إقامة هذا البناء.

الحلقة السابعة

حملة مواجهة القمع

حملة مواجهة القمع

"لا بد من إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه" أكاديمية التغيير

نتناول في هذه الحلقة:

أولاً: الصراع السياسي وحملة مواجهة القمع.

ثانياً: حقيقة القمع في الصراع السياسي الصفري.

ثالثاً: من أهداف الحملة.

رابعاً: استراتيجية جديدة.

خامساً: متطلبات الاستراتيجية.

سادساً: من وسائل تحقيق الاستراتيجية.

سابعاً: القواعد الذهبية.

أولاً: الصراع السياسي وحملة مواجهة القمع

ينشأ الصراع السياسي نتيجة لوجود اختلاف في المصالح أو الرؤى بين أطراف المجتمع

المختلفة.

ويمكن تقسيم هذا الصراع إلى نوعين:

صراع منخفض الحدة (تنافسي): حيث يُحسَم الصراع من خلال التنافس بين الأطراف المختلفة عبر

آليات الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة كما يحدث في الدول الديمقراطية.

صراع مرتفع الحدة (صفري): حيث يُحسَم الصراع من خلال التدافع بين الحركات الوطنية والأنظمة

الحاكمة، وهو ما يحدث في الدول الديكتاتورية، وغالباً ما ينتهي بالقضاء على أحد الطرفين، ويحتاج فيه النظام الديكتاتوري إلى القمع لضمان استمرار سيطرته.

ثانياً: حقيقة القمع في الصراع السياسي الصفري

إن الصراع السياسي الصفري لا بد وأن يمر في أحد أطواره بمرحلة القمع، الذي لا يجد النظام بدأً من اللجوء إليه لاجبار المجتمع على القبول ببقائه وشرعيته.

وفي مرحلة القمع يحتاج النظام في صراعه مع القوى الوطنية - والذي من المفترض أن يكون صراعاً مدنياً دستورياً - إلى المبررات التي تسوغ لجوءه للقوة لإقناع المجتمع الدولي والمواطنين، وهذه المبررات تنقسم إلى نوعين:

1. مبرر أو غطاء أخلاقي، وهي ضرورة إنسانية (ضرورة ضميرية): مثل التبرير بحماية الشباب من التغرير بهم وغسل عقولهم وحماية المجتمع من الحركات المشبوهة التي تستعين بالجهات الخارجية وبالتمويل الأجنبي لتدمير المجتمع وإضعافه.

2. مسوغات قانونية أو غطاء عقلي، وهي ضرورة للتقبل العقلي (ضرورة عقلية): من قبيل مخالفة القوانين والاعتداء على الممتلكات العامة وتعطيل مصالح الجماهير والانتماء لتنظيمات محظورة.

وبالمقابل تسعى الأطراف المقاومة إلى تنفيذ مزاعم النظام الأخلاقية والقانونية، وتبيان عدالة ونبيل القضية التي تدافع عنها، والتصريح بأنه ليس من حق النظام غير الشرعي استخدام العنف ضد المجتمع، بدلاً من الدخول في صراع سياسي مدني ومتحضر.

وانطلاقاً من فهم المجتمع ونشطاء المقاومة لحقيقة القمع تبدأ حملة المقاومة بهدف تحويل أداة القمع لصالح المجتمع، وذلك عن طريق إدراك الأهداف والاستراتيجية وتطبيق الوسائل والتدريبات

المناسبة لمواجهة أساليب القمع، والتعامل معها على أنها فعل سياسي يحد بغض النظر عن المبررات القانونية والأخلاقية التي يخلقها النظام.

ثالثاً: من أهداف الحملة

- تختلف أهداف الحملة باختلاف مرحلة الصراع، ففي المرحلة الأولى للمقاومة وهي مرحلة بناء القدرة، تكمن أهداف حملة مواجهة القمع في الهدفين التاليين:
1. الحد من فاعلية أداة القمع وتحويلها إلى نقطة قوة للحركة التغييرية ونقطة ضعف للنظام (تجريد النظام من إحدى أدوات قوته والمتمثلة في القمع).
 2. تدريب النشطاء على كيفية التعامل مع أسلوب القمع.
- وتحقيق هذه الأهداف يتطلب من الحركة التغييرية أن تتبنى استراتيجية إيجابية.

رابعاً: استراتيجية إيجابية

ولتوضيح المقصود من استراتيجية إيجابية سنتأمل هذا المثال:

لو اضطر لاعب الدفاع إلى عرقلة مهاجم الفريق المضاد داخل منطقة الجزاء، كيف ينظر كلا الفريقين لهذه الحركة؟

الفريق المدافع:

- 1- الفريق المدافع اضطر إليها كمحاولة ربما يائسة لمنع تسديد الهدف.
- 2- هناك نتيجة إيجابية ترتبت على هذا التصرف، ألا وهي تأخير الهدف وليس منعه، أو بمعنى أدق حوّل هذا التصرف مرتبة الفريق المهاجم من الفوز الأكيد إلى مرتبة احتمال الفوز.

3- وهناك نتائج سلبية قد تترتب على هذا التصرف، مثل أن الهدف سيسجل حتماً لو أحسن الفريق المهاجم استثمار الفرصة، أو احتمال طرد لاعب الدفاع المعتدي، وحرمانه من المباراة القادمة أو على الأقل حصوله على الكارت الأصفر.

4- قد لا يحسن الفريق المهاجم استغلال الفرصة فيهدر التسديدة، وعندها تصبح مخاطرة لاعب الدفاع مقبولة.

الفريق المهاجم:

1- على الفريق المهاجم ضمان تسديد الهدف عن طريق اختيار أفضل لاعب تم تدريبه على تسديد ضربات الجزاء، ووضع أي أنانيات أو مصالح شخصية بعيداً من أجل مصلحة الفريق.

2- هناك مكاسب أخرى ممكنة مثل طرد اللاعب المدافع ومن ثم معاقبة الفريق المدافع واضطراره إلى أن يلعب بفريق أقل عدداً، أو الفوز الكامل بالمباراة عن طريق حجب الأهلية عن الفريق المدافع وإخراجه من الدورة كلية إذا قام بالتصعيد ولم ينصع لأمر الحكم.

3- أسوأ احتمالات الفريق المهاجم أن يضيع كل هذه الفرص بسبب جهل أو أنانية أو ...

وهكذا فإن المطلوب من الحركة التغييرية إمعان النظر والتفكير في كيفية استثمار الأعمال

القمعية لتحويلها إلى أداة فعالة في يد المقاومة والمجتمع في صراعه ضد الديكتاتور.

خامساً: متطلبات الاستراتيجية

1. التفكير العميق في كيفية تحويل تلك الإجراءات القمعية التي يلجأ إليها النظام من نقطة قوة يضبط من خلالها المعارضين إلى نقطة ضعف تمثل هاجساً مزعجاً له، وكيف يتحول القمع إلى أداة فعالة في يد

الحركة التغييرية بحيث يتحول اعتقال أحد النشطاء مثلاً إلى مكسب للحركة وخسارة تخضم من رصيد النظام، ويعتمد حجم المكاسب على دهاء الفريق الاستراتيجي وإمكانياته في استثمار الأحداث.

2. تحتاج مجموعات العمل إلى تدريب دقيق على التعامل مع أداة القمع، فبإمكان نشطاء الحركة التغييرية - إذا كانوا مُعدّين ومُدرّبين - أن يحدثوا تأثيراً كبيراً من خلال تنسيق استراتيجيتهم في طريقة التعامل مع أدوات القمع كالضرب والحصار والاعتقالات والسجون والمحاکمات والدعاوى القضائية، وبتأثير لا يقل فاعلية عن الأنشطة التي أدت إلى اعتقالهم، وهو جزء لا يتجزأ عن أنشطة المقاومة اللاعنفية، تحويل أنشطة القمع إلى أنشطة بل مهرجاناً للمقاومة.

إن الدور المنوط بالحركة التغييرية هو إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه.

مثال

قد يقوم النظام باعتقال أحد رموز الحركة التغييرية. مكاسب النظام: تحجيم نشاط هذا الفرد، وتوصيل رسالة إلى الحركة، وقياس رد فعلها، ومدى تضامنها في حالة استهداف أفراد من أطراف الحركة أو من القيادة..

خسائر النظام: تظاهرات مستمرة، حملة إعلامية شرسة، ضغوط خارجية، أصبح الفرد المراد تحجيمه رمزاً محلياً وعالمياً، السعي إلى محاكمة الجناة وعدم الاكتفاء بالإفراج عن المعتقل.

وبذلك فإن تكلفة القمع (الخسائر) أصبحت أعلى بكثير من المكاسب، وبالتالي لن يقدم

النظام على مثل هذا العمل بسهولة، وبالتالي يضطر إلى البحث عن أدوات أخرى للصراع السياسي.

3. العمل على توفير مساحة كبيرة من الحرية في تعامل النشطاء ومجموعات العمل مع الأحداث وتشجيع الإبداع، من خلال إمداد النشطاء بورقة استراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرى (تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة وتبين نوعية التصرفات التي تضر بالعمل) ثم اعتماد اللامركزية ومجموعات العمل.

سادساً: من وسائل تحقيق الاستراتيجية

ونقدم هنا بعض الأمثلة على الوسائل التي يمكن أن تستخدم لتحقيق الاستراتيجية الإيجابية، وهذه الأمثلة المذكورة على سبيل المثال لا الحصر، وإن المواهب والأفكار المختزنة في عقول أفراد المجتمع يمكنها أن تصل بأعمال المقاومة إلى المدى الذي يُذهل النظام والحركات التغييرية نفسها:

1. تهيئة رجال الشرطة عبر مسارين:

الأول: استثمار الاعتقال والتحقيق في بناء حوار مع رجال الشرطة، ورغم صعوبة هذا الأمر إلا أنه مهم جداً، وليس بالضرورة أن يكون هذا الحوار عن طريق الكلام والإقناع - إذ قد يتعذر بناء حوار منطقي مع رجال الشرطة خلال التحقيق - ولكن يمكن الاستعاضة عن ذلك بأن يعطى جميع المشاركين في المظاهرة مثلاً بعض الأوراق القليلة الموثقة التي تحوي أرقاماً ومعلومات موثقة حول موضوع المظاهرة (الفقر - البطالة - الفساد - ...)، وما على المحتجز سوى إعطاء هذه الأوراق للمحققين كمبرر على مشاركته في المظاهرة.

ومع تكرار المحاولة يبدأ الحوار النفسي داخل ضمير رجل الشرطة (موظف النظام/عبد المأمور) حول شرعية النظام وشرعية قمع الشعب من أجله.

والثاني: عبر **الملاحقة القانونية** للمسؤولين عن حالات الاعتقالات والتعذيب والقتل عبر اللجوء إلى القضاء المدني، و**الملاحقة الإعلامية** عبر نشر صورهم وأسمائهم لتصبح وصمة عار وفضيحة لهم أمام أهليهم وأقربائهم وجيرانهم، و**الملاحقة المهنية** عبر المطالبة بعزلهم عن مواقعهم ومناصبهم.

2. استثمار كل حالة اعتقال وتضخيمها إعلامياً وتحويل المعتقل إلى رمز، وذلك عبر توثيق حالات الاعتقال والقمع والضرب - بالصور إن أمكن - وبثها عبر الفضائيات ووسائل الاتصال المختلفة (الانترنت والهاتف الخليوي) ومناقشتها على صفحات الجرائد والمجلات وعبر الفضائيات، وتحويلها إلى قضية محلية ودولية، ورفض ممارسة العملية السياسية (انتخابات - مفاوضات - ...)، وحشد الأعداد الغفيرة بسرعة وكفاءة عالية أمام الأماكن التي يُحتجز وينقل إليها النشطاء، والتهديد بالتصعيد حتى يتم الإفراج عن المعتقل.

3. حشد مصادر القوة الداخلية: عبر الاتصال باللجان الحقوقية والديمقراطية ولجان الحريات والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة ومحاولة جعلها أداة ضغط على النظام.

4. حشد مصادر القوة الخارجية: عبر الاتصال بالهيئات الدولية والحقوقية العالمية لممارسة الضغط على النظام للإفراج عن المعتقلين وللتوقف عن منع الجماهير من الإعلان عن مطالبها سلمياً.

5. تضامن نشطاء الحركة التغييرية: والتضامن في حقيقته حالة عقلية وروحية توحد بين الأفراد في كفاحهم الطويل أكثر منه نشاط يكلف الأفراد بتطبيقه. والتضامن لا يعني خياراً واحداً يطبقه جميع الأفراد في جميع المواقف، بل هو قوة داخلية موجودة لدى كل فرد ومختزنة داخل كل مجموعة، إنه التزام

نابع من كل فرد تجاه الآخرين وتجاه القضية المشتركة، إنه تقديم الصالح العام على المصالح الشخصية. إنه رفض للأناية التي تعود عليها الأفراد والتنظيمات والجماعات. إنه تكريس كل فرد لوقته وجهده لدعم الوطن وللمضي في العمل على رفعة في كل الأوقات، وفي جميع المواقف. ولا تستطيع سلطة أيًا كانت أن تكسر هذا التضامن.

أنواع التضامن

- **التضامن المعنوي:** تجمع النشطاء حول مقار الشرطة وأقسام البوليس ومراكز الاعتقال، وتجمع النساء حول أماكن احتجاز أبنائهن وأزواجهن وآبائهن، ووضع الزهور على أسوار وأبواب السجون، رفض المعتقلين لقرارات الإفراج في حال استمرار اعتقال بعض زملائهم.

- **التضامن المالي:** مساعدة عائلات المحتجزين، وتوفير الكفالات المالية لخروج المسجونين.

6. تقويض شرعية القمع: عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون.

استراتيجية عدم التعاون

لقد اكتسبت الاعتقالات والمداهمات والتعذيب شرعية - لا مكتوبة - لكثرة وطول استخدامها. وبالتالي فغالباً ما يدرّب النشطاء على كيفية التعامل مع القمع لا على كيفية تقويضه ورفضه عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون وأساليب اللاعنف.

فبعض النشطاء يرفضون التعاون - جزئياً أو كلياً - مع إجراءات التحقيق والمحكمة، فيرفضون تقديم الالتماسات أو توكيل أو القبول بالخامين، أو الوقوف في المحكمة أو التحدث إلى القاضي كونه يمثل رمز سلطة المحكمة، أو اتخاذ موقف أو سؤال الشاهد، ولكنه قد يلقي خطبة على الجموع الذين

تجمعوا في مقر المحكمة، أو ينام أو يجلس على الأرض إذا أُريد حمله، أو يحاول المغادرة إذا لم يُمنع بالقوة. وقد تكون العقوبات المترتبة على عدم التعاون صارمة، لأن بعض المحققين أو القضاة يأخذون هذه التصرفات على محمل الإهانة الشخصية أو الإهانة لقدسية التحقيق أو المحكمة، ولكن من ناحية أخرى يغض بعض المحققين أو القضاة الطرف عن هذه السلوكيات بل وربما يحاولون الاتصال بالنشطاء.

كما يمكن تطبيق عدم التعاون الجسدي خلال عمليات ووقت الاحتجاز، وهذا يتضمن رفض المشي والأكل والنظافة الشخصية أو نظافة المكان المحيط، وهذا قد يؤدي إلى محاولة مسئولو السجن إجبار النشط السياسي السجن على الأكل ووضع حفاظات له.

ويعد الصيام من أحد أشكال اللاتعاون، ويقصد به الامتناع عن الطعام والسوائل ما عدا الماء، وبينما يمثل الامتناع عن الغذاء إزعاجاً لسلطات السجن كونه يمثل خطورة على حياة السجن، فإن الامتناع عن الغذاء والسوائل كلية وحتى الماء أشد خطورة، حيث أن السجن لن يعيش لفترة طويلة، ولذلك فإن السلطات تراقب الأشخاص الذين يهددون ويلوحون باستخدام "صيام الماء" فيدخلونهم المستشفيات حرصاً على حياتهم، ولكن يجب على المتظاهر ألا يعتمد على هذه الوسيلة لجذب الانتباه، بل يجب أن يكون قادراً على وقف الصيام أو أن يكون عازماً على الاستمرار حتى الموت، كما فعل مقاتلو الحرية في أيرلندا في عام 1981م.

وعدم التعاون قد يأخذ أشكالاً أخرى وينتج عن أسباب أخرى، فرفض الفرد إعطاء اسمه لا شك أنه ينبع من رغبته وتصميمه على المقاومة والتغلب على النظام الذي يلفق محاضر إجرامية للناس، ويصنفهم ويتجسس عليهم، ويعاقب المنظمين والمخالفين للقانون بعنف وصرامة أشد. وهذا

ينقل رسالة للنظام مفادها أنه لا أحد منا سيتعاون مع النظام وأن هذا الأمر سيتكرر المرة بعد المرة. ومع ذلك فكثير من نشطاء الحركة التغييرية اللاعنيفة يعملون بانفتاح وثقة، ولا يحاولون إخفاء شخصياتهم وهو ما يميز ويقوي أنشطة اللاعنف، ويطبقون ما يطلق عليه "التعاون المقيد" فيرفضون البوح بعناوينهم أو رفض إعطاء الوعود بالعودة للمحكمة، وهذا يزيد العبء على المحاكم لضرورة التعامل السريع مع المتظاهرين، كما أنه يعزز التضامن بين النشطاء ويزيد من وحدتهم.

سابعاً: القواعد الذهبية لتعزيز مساحة الحرية وإطلاق الإبداع في حركة المقاومة

1. استراتيجية حركة لا استراتيجية فرد: فحتى يتحول عدم التعاون إلى ظاهرة عامة تحدث تأثيراً حقيقياً، فإنه ينبغي أن يتخذ القرار بشأن استراتيجية التعاون الكامل أو المقيد أو عدم التعاون بشكل جماعي لا فردي، بمعنى أن يكون استراتيجية حركة لا استراتيجية فرد، حيث أن اتخاذ قرار اللاتعاون مثلاً بشكل فردي قد يضر بصاحبه أشد الضرر رغم عدم احتياج الحركة إليه في المرحلة الراهنة كما أنه لن يحدث التأثير المطلوب، كما أن اتخاذ قرار اللاتعاون بشكل جماعي يمثل إزعاجاً ومشكلة للنظام، ويعطي مصداقية وشرعية لممارسيه.

2. الحفاظ على ثوابت الحوار في اللاعنف: ففي حالة اختيار استراتيجية التعاون لا بد أن تكون المعلومات التي تعطى للمحققين صحيحة، فلا بد من الابتعاد عن الكذب أو أنصاف الحقائق، فاستراتيجية اللاعنف تستمد قوتها من قوة الحقيقة والمواجهة والمجابهة المفتوحة واللاتعاون، وليس من خلال المراوغة أو التهرب والتحايل، فلا بد من الحفاظ على ثوابت أسلوب اللاعنف المتمثلة في الأمانة والصراحة المباشرة في طرح القضية خلال تعامل نشطاء الحركة مع الموظفين المسؤولين عن تطبيق القانون.

وتكمن المشكلة هنا في أنه في أغلب الأحيان يكون الكذب أسهل من إعلان رفض التعاون، فعلى سبيل المثال إذا ما سئل المعتقل عن شخص ما فإن الأسهل أن ينفي معرفته به من أن يواجه المحققين بأنه يرفض الإجابة والتعاون.

3. **تأمين قنوات الاتصال:** لا بد من العمل على إيجاد قنوات اتصال بين المعتقلين وبين نشطاء الحركة التغييرية في الخارج قبل البدء في الأنشطة، وهذا الاتصال قد يكون من خلال المحامين أو رجال الشرطة المتعاطفين أو المعتقلين الجدد أو المفرج عنهم، وهذا التفكير في كيفية الاتصال في حالة حدوث الاعتقالات ينبغي أن يشمل أيضاً مجموعات العمل الصغيرة، فعلى كل مجموعة أن تفكر في تأمين قنوات اتصالها.

4. **المتابعة والتوثيق وتوفير الاستشارات:** في الأنشطة الكبيرة لا بد أن توفر الحركة التغييرية الاستشارة القانونية في موقع الحدث (مكان تنفيذ النشاط) لإعلام النشطاء بما عليهم فعله خلال اعتقالهم. كما يجب أن تكون هناك مجموعة مختصة بمراقبة ساحة الفعل، فتوثق أسماء وصور المعتقلين والقائمين على عملية الاعتقال، وتوثق أي ارتفاع لمستوى العنف أو القمع.

وقد لا يحتاج النشطاء إلى محامين إذا اختاروا استراتيجية عدم التعاون، ولكن إمدادهم بالاستشارة القانونية أو وجود محام متعاطف معهم أو مؤيد لموقفهم قد يساعدهم على التعامل بحكمة أكثر مع النظام القانوني القائم.

5. **بناء قدرة الحركات التغييرية على مواجهة القمع:** من خلال التدريب، حيث تتدرب مجموعات على مناقشة هذه المسائل القانونية، وبخاصة الجزئية المتعلقة بعدم التعاون والموقف من المحاكمات. وعلى قائد المجموعة أن يضع مجموعة من المواقف الافتراضية وأن يرى كيف سيتجاوب أفراد المجموعة مع مثل هذه المواقف. وتجدر هنا الإشارة إلى أن حركات اللاعنف تصدر لنشاطها دليل (Manual) يدرس للنشطاء ويتدربوه عليه؛ ماذا يقولون وكيف يتصرفون ويمكن الرجوع إلى دليل (Act Up).

6. **المحافظة على القيادة والأطراف:** لا بد أن ترسم الحركات التغييرية خطة للرد على النظام منطلقاً من كون كل أفراد المقاومة – سواءً كانوا في القيادة أو في الأطراف – على نفس الدرجة من الأهمية الاستراتيجية، فحين يكون رد فعل الحركة مقصوراً عند استهداف أفراد من القيادة يقوم النظام باستهداف الأطراف، فإذا لم تستجب الحركة لتمادى الحكومة في اضطهاد الأطراف، شيئاً فشيئاً تنصرف الأطراف عن الحركة فتجد القيادة نفسها وحيدة في مواجهة النظام، الذي سرعان ما ينفرد بها ويفنيها بعد أن فرطت في مصدر قوتها.

7. **تقويض شرعية النظام:** من خلال سعي الأطراف المقاومة إلى تنفيذ الغطاء الأخلاقي والقانوني اللذين استخدمهما النظام أمام المجتمع الدولي والمحلي والنيل من هيئته وتبيان عدم شرعيته.

8. **وضوح الرؤية لدى المجموعات المختلفة:** من خلال إمداد النشطاء باستراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرى (تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة)، وتزويدهم بالأجوبة الضرورية حول الأسئلة المطروحة على الساحة، مثل رؤية الحركة، وكيفية بلوغ أهدافها، وموقفها من الأطراف المختلفة، والمراحل التي سيمر بها التغيير، والمرحلة التي تعمل فيها الحركة في الفترة الراهنة، والموقف من أهم القضايا المطروحة، وتنفيذ شبكات الخصوم بشكل علمي منطقي.

وتوفير مثل هذه الأجوبة يكسب النشطاء قوة إقناعية ووعياً بما يدعون إليه، ويظهرهم كوحدة واحدة، ويمكن أن توفر هذه الأجوبة المتجددة عبر الإنترنت، بحيث تكون ملكاً لكل النشطاء.

9. **الرمزية:** فحملة مواجهة القمع واستراتيجية اللاتعاون وتقويض شرعية النظام في بدايتها لا بد أن

تركز على إظهار إمكانية الفعل وخلق حوار مع الجماهير لإقناعها بالمشاركة في

الصراع لصالح المجتمع، لا سيما وإن أحسنت المقاومة استخدام الرمزية لتبين فاعلية العمل إن شارك فيه المجتمع.

الخلاصات

- إن المقاومة تعني العصيان أو الرفض.
- إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف إزاء قانون ما، أو موقف ما، ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، أو تحدي القانون. إنها ترفض الإذعان أو الطاعة.
- العصيان المدني نشاط شعبي متحضر، يعتمد أساساً على مبدأ اللاعنف.
- العصيان المدني تقوم أنشطته على التحدي، فلا تقيده قوانين النظام، أو قراراته، وإن كان أحياناً يتم عبر القوانين. ومن ثم لا يستطيع النظام أن يفرض على حركة العصيان نشاطاً بعينه أو يمنعها من نشاط، أو يفرض عليها ميداناً بعينه.
- إن المقاومة يجب أن توجه خطابها إلى المواطنين المدعين.
- أكبر الداعمين للأنظمة الجائرة والذين يمثلون أخطر وأكبر المعوقات أمام حركة المقاومة هم أولئك الذين يعترضون ثم يذعنون ويقدمون للنظم الولاء والدعم في النهاية.
- "لو أن الرجل يشعر أنه ليس من الرجولة أن يطيع القوانين الجائرة فلن يستطيع أي طاغية أن يستعبده". غاندي
- إن العقوبات أو بالأحرى التغلب على الخوف من العقوبة هو أساس مبدأ العصيان المدني.
- وسائل العصيان لا تعرف السرية.
- إن العصيان هو حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاکمات... كما أنه حوار مع المواطنين.
- قد يكون من الضروري أحياناً أن يأخذ العصيان المدني صورة العمل المباشر الرمزي.
- العصيان المدني لا يكون مؤثراً أو فعالاً إلا بمبررات أخلاقية نابعة من عدالة القضية التي قام من أجلها.

- إننا عادةً ما نسمح للنظام بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا من خلال ما نتصوره ممكناً أو غير ممكن، غير أنه من خلال **أنشطتنا فقط** نتأكد لدينا إمكانية الفعل أو استحالته.
- لكي تصح تصوراتنا عن الإمكانية الحقيقية لفعل ما فلا بد من إخضاعه للتجربة، وهي وحدها الحكم الذي يقرر الإمكانية من عدمها. ولا ينبغي أن نكتفي بانهزام الإرادة والتسليم لإيهاامات الخصم بأن كل شيء في قبضته وأنا يجب ألا نتخطى الخطوط الحمراء التي وضعها.
- قد يتحدث الكثيرون عن أخلاقيات العصيان المدني، لكن هذه الأخلاقيات تختلف بحسب النظرة إلى ما هو ممكن وغير ممكن، وما هو صواب أو خطأ، والمطلوب هو إخضاع هذه الأعراف والقناعات للتجربة بالحوار مع الخصم ومن ثم كل المجتمع عن طريق أنشطة واستراتيجيات العصيان المدني.
- "عندما ينتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة فإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر من أن يتولى قيادة هذا العدد الكبير مجموعة صغيرة سرعان ما تنفذ طاقتها" بير هرينجرين
- تتألف مجموعة العمل عادة من ثلاثة إلى خمسة عشر فرداً تجمعهم اهتمامات وأهداف مشتركة، وعادة ما يكون سر قوتها وتأثيرها نابع من قلة عددها إذ يمكنها القيام بعمل نوعي مبني على المشاركة الإيجابية لكل أفراد المجموعة.
- إن أسلوب مجموعات العمل يمنع تكديس حركات العصيان بالكم البشري غير الفعال. كما أن حركة صغيرة الحجم من حركات العصيان إذا اعتمدت فكرة مجموعات العمل فإنها تضاعف من قوتها.
- إننا حين ندعو للعصيان فإننا نحارب الديكتاتوريات. وعليه فإن من واجب حركات العصيان أن تطلق حرية التفكير والإبداع وتحمّل مسؤولية النشاط، طالما أن العمل لم يتجاوز استراتيجية "اللاعنف".

• إن مجموعة العمل تدريب على: إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حر في وحدة صغيرة، التخطيط للنشاط، تطوير أساليب اللاعنّف بما يناسب تقاليد المجتمع.

• إن هدف النشاط هو خلق الحوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته.

• "نحن نحاول نزع سلاح مخاوفنا الخاصة. كما أننا نحاول أيضاً نزع سلاح جدران الحماية الأخرى التي بنيناها لتجنب المخاطر الشخصية. كما أننا نحاول نزع سلاح العنف والقمع والاضطهاد الذي قد يوجد داخل المجموعة نفسها. وفي النهاية فنحن نحاول - من خلال أنشطتنا - نزع سلاح العنف والخوف والشك من المجتمع." بير هيرنجرين

• تنقسم أسلحة المقاومة اللاعنفية إلى ثلاث مجموعات: الاحتجاج والإقناع، اللاتعاون، التدخل المباشر.

• "إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن ينتج عن رؤية كلية لخارطة الصراع." أكاديمية التغيير

• تتكون حملات المقاومة من سلسلة من الأنشطة الهادفة إلى تحريك المجتمع نحو الإيجابية ونبذ السلبية وتوجيه الرأي العام لاتخاذ موقف بناء إزاء قضية ما، والضغط على النظام ليتخذ موقفاً استجابة للإرادة الشعبية.

• "لابد من إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه"

أكاديمية التغيير

الخاتمة

نحو الطموح والحرية

الخاتمة

نحو الطموح والحرية

كانت هذه محاولة لتبسيط الضوء على بعض القضايا الرئيسة المتعلقة بموضوع العصيان، وحرصنا أن يكون الكتاب دليلاً مختصراً لفتح شهية قرائنا كي يسبروا أغوار هذا الموضوع، وينقبوا عن الدراسات المكتملة التفصيلية، حتى يمكن استيعاب فلسفة واستراتيجيات العصيان.

ولم نتحدث في الكتاب عن العصيان المدني على اعتباره أعلى تجليات أساليب اللاتعاون¹، بل تحدثنا عن العصيان كحالة عامة، فالعصيان جوهر حرب اللاعنف، ولب ثقافة المقاومة التي تسعى للحرية، وكلما تمكنت الحركات التي تقود التحولات من تعزيز هذه الثقافة؛ كلما كان ذلك مبشراً بولادة مجتمعات حرة تملك مصيرها.

ويتم تعزيز الثقافة بنشر مثل هذه المفاهيم التي حوتها الصفحات السابقة، عبر الكتابات والقصص والروايات والأفلام.. الخ، وعبر الممارسات العملية التي يمارس فيها الأفراد والجماعات والمؤسسات العصيان، ويشجع بها الإيجابيون شرائح المجتمع للنهوض من أجل تحقيق الطموحات والأحلام، فلا مكان للعقبات مهما عظمت في منع المجتمع من التقدم. ومهما كبرت هذه العقبات ووصلت إلى حد الديكتاتورية؛ فثمة وسائل لإزالتها، لا تعتمد العنف منهجاً، كما أنها لا تستسلم للوضع القائم، بل تعلن التمرد الحضاري عبر العصيان على كل ديكتاتور، سواء كان في العمل أو الحزب أو الحركة، أو كان رئيس الدولة. إن العصيان يعني استرداد الإنسان حرية الاختيار، إنه يعني اختيار الحرية.

¹ راجع المجموعات الثلاث لوسائل اللاعنف الحلقة الخامسة ص 39

ثبت المراجع

- "Act Up Civil Disobedience Training" دليل إرشادي تدريبي
- Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy. Bangkok: Committee for the restoration of Democracy in Burma, 1993. Also, Boston, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 2002.
- Gene Sharp, The Politics of non-violent action. Boston: Porter sargent, 1973. Three paperback volumes.
- Per Hengren, Path Of Resistance, The Practice Of Civil Disobedience, (New Society Publishers, 2004).
- The Teaching Company, Power over People Lectures by Dennis G. Dalton.

حقوق هذه المادة محفوظة لأكاديمية التغيير. ولا يجوز طباعتها للنشر إلا بعد موافقة أكاديمية التغيير، ولا مانع من نشرها على مواقع الإنترنت شريطة ذكر المصدر.

Civil Disobedience Series

All rights reserved. It may be reproduced with permission of the Academy of Change.

The authors have asserted their right under the Copyright, Design and Patents Act 1988, to be identified as the Authors of this work.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

British Library Cataloguing in Publication Data.
A Catalogue record for this title is available from the British Library.

ISBN 1-4276-1311-7

Distributed on line by
www.taghier.org

للتواصل مع أكاديمية التغيير (AOC)

بريد إلكتروني: info@taghier.org

<http://aoc.fm>